المقتطف

الجزء الاول من المجلد المائة و الواحد

١ يونيو سنة ١٩٤٢ — ١٧ جمادى الاول سنة ١٣٦١

اوربا بين عهدين

صروف ناشد يحيى

الموازنات التاريخية كثيرة المزالق ، اذا اريد بها استخراج احكام عامة . موازنة بين حادثين بعينهما ، أو بين رجلين من الافذاذ . فليس في الوسع ان نستخرج حكماً تاريخياً أو حربياً عاماً ، من المقابلة بين زحف نبوليون على موسكو في شهر يونيو سنة ١٨١٢ ودخوله العاصمة الروسية في سبتمبر ، وبين زحف هتلر صوبها في يونيو كذلك من سنة ١٩٤١ وعجزه عن دخولها حتى الآن . ولكن اذا كان طريق من الكتّاب قد استسلم الى استخراج احكام عامة ، لا سند لها ، من هذه المقابلة ، فان ذلك لا يعني اننا لا نستطيع ان نجني فائدة ما ، من المقابلة بين الاحوال العامة في العهدين — عهد نبوليون وعهدنا هذا . في الطب مثلاً ليست كل اصابة بالانفلونزا مماثلة تماماً لكل اصابة أخرى . وكل دعي طبيب لمعالجة حالة من هذا القبيل ، عليه ان يتذكر انها في ناحية ما منفردة ولا مثيل لها . واذا أهمل ذلك فقد يخفق في مهمته . ولكن عليه ان يتذكر كذلك انها تشبه الحوادث الاخرى في كثير من النواحي العامة والاحكام التي تجري عليها جميعاً . ولولا ذلك ، لكان ارتقاء علوم الطب مستطاعاً ، ولا لخبرة الطبيب قيمة . فالطبيب يجني من خبرته ومن خبرة من تقدّم وتحاربهم — أي من التاريخ — فائدة كبيرة . والواقع ان المهندسين والمحامين والفلاحين ، وغيرهم من رجال الاعمال ، يعملون ما يعملون استناداً الى ما يصح ان نسميه [illegible]

التاريخية historical uniformities اذا عدُّوا هذه التشابهات احكاماً مطلقة وبنوا عملهم على ذلك ارتكبوا خطأً فاحشاً ، ولكنهم اذا نظروا وجودها اطلاقاً كان خطأهم أفحش . وحتى ذلك فالموازنة — في نطاق هذا الموضوع — ليست بين حملة نبوليون وبين حملة هتلر على روسيا ، ولا بين شخصي نبوليون وهتلر ، بل هي موازنة بين الأحوال العامة والعوامل المتشابهة في تاريخ اوربا الاجتماعي ، في عهد نبوليون وعهدنا هذا

***

نشبت حرب اوربية عامة (١٧٩٢ — ١٨١٥) بعد انقضاء ثلاث سنوات على قيام الثورة الفرنسية . وكان اشتراك فرنسا في الثورة الاميركية ضد بريطانيا قبل ذلك ، قد رفع قليلاً من منزلة الطبقة الحاكمة في فرنسا ، إلاّ أنَّ الفرنسيين كانوا قد هزموا هزيمة منكرة في حرب « المائة سنة » مع بريطانيا ، وفقدوا امبراطورية كبيرة في الهند وشمال اميركا الشمالية . وكانت حكومتهم مفلسة في سنة ١٧٨٩ وطبقات الشعب العامة تستنكرها وتتهم عليها . وكان زعماء الفكر فيهم ، قد مضوا جيلاً كاملاً وهم يدعون الى اصلاح منشآتهم السياسية والاقتصادية والدينية ، أي انهم كانوا يدعون الى انقلاب عام ، أو ثورة اذا شئت . وما دعا لويس السادس عشر « المجلس العام » الى الانعقاد في سنة ١٧٨٩ حتى قبض على زمام هذا الاصلاح الثوري . وبعد فترة قصيرة من الوحدة ، عقد فيها الرجاء على بعث الأمة بعثاً جديداً ، بأساليب الاصلاح السلمي ، اتجهت الثورة الى العنف ، فأسقط البيت المالك ، وانتقل السلطان رويداً الى الجماعات المتطرفة ، وتخلل انتقالهُ ، ما نشهده عادة ، من أعمال الارهاب في مثل هذه الاحوال . وفي اثناء « حكم الارهاب اليعقوبي » كان الحكم في يد فئة قليلة ، حكمت بالقوة بعد ما الغت جميع الحقوق المدنية . وما جاءت سنة ١٧٩٣ حتى كان الارهاب موجهاً الى اعداء الثورة الحاكمة في الداخل ، والى اعداء فرنسا في الخارج كذلك . فنشبت الحرب بين فرنسا والحلف النمسوي البروسي ، في ابريل ١٧٩٢ ، امتدَّ نطاقها حتى أصبحت حرباً ضدَّ « الحلف الاوربي الاول » وقد اشتركت فيه كل اوربا تقريباً ما عدا روسيا وتركيا ، ضدَّ فرنسا الجمهورية . وكان الفرنسيون الذين دخلوا معمعة هذا النضال ، والحروب التي تلتها ، مسيَّرين بعاملين اولاً — الرغبة في تحرير الدول الاخرى من الاستبداد . وثانياً « فرنسة » هذه الدول ولو كان ذلك يقتضي ضمها الى فرنسا . ولم يكن بين رجال الثورة الفرنسية ، من يرى تناقضاً بين الغرضين ، لايمانهم بأن كل دولة تصبح جزءاً من النظام الفرنسي ، تكون دولة حرَّة وان هذا الطريق هو الطريق الوحيد الى الحرية

لم يصب الفرنسيون نجاحاً في سنتي ١٧٩٢ و١٧٩٣ في الحرب وهددت باريس نفسها .

ولكن تجريد الجيش الشعبي الكبير ، وادماج ضباط الجيش القديم في الجيش الحديث ، والاستعانة بالعلماء والمخترعين والمهندسين ، وظهور فريق من القوّاد النوابغ — ولم يكن بونابرت الاّ احدهم وان كان اعظمهم — افضى الى انقلاب ميزان القتال ورجحان كفة فرنسا. إلاّ ان هذا النجاح لم يكن مردّه الاول والاخير الى قوة فرنسا ، بل كان جانب كبير من مرده الى ضعف خصومها ، وتمسكهم بأساليب الحرب القديمة ، واحجامهم عن الاتحاد ضدّ الفرنسيين . والمؤرخون يعدّون خمس تحالفات اوربية انشئت لمقاومة فرنسا بين سنة ١٧٩٢ وسنة ١٨١٥ . ولو حاول كاتب ان يضع في جدول واحد كل من من الدول الاوربية كان مع فرنسا او ضدّها او محايداً لكانت الصورة مضطربة وتخرج من بحثه هذا بحقيقة واحدة وهي ان بريطانيا دون غيرها كانت ضد فرنسا خلال هذه المدّة كلها اذا استثنينا الفترة القصيرة التي أعقبت صلح اميان سنة ١٨٠٢ . والواقع ان المحالفة الكبرى ضدّ فرنسا لم تعقد وقوة اوربا لم تحشد تماماً إلاّ في سنة ١٨١٢ وبعدها

وما تقلّد بونابرت منصب القنصل الاول سنة ١٧٩٩ وعزز مقامهُ وأيد طائفة كبيرة من الاصلاحات التي بدىء فيها سنة ١٧٨٩ ، حتى كانت الجيوش الفرنسية قد اكتسحت البلاد الواطئة وغزت المانيا وايطاليا . ثم أتمّ نبوليون نفسهُ امبراطوراً وسيداً لاوربا . وكان عندما بلغ أوجه قبل حملته على روسيا ، قد أحدث في خارطة اوربا من التعديل ما يبعث على الدهشة

في قلب هذا النظام الجديد كانت فرنسا ، بعد تنظيمها تنظيماً جديداً . وفرنسا هذه كانت تشمل بلجيكا وهولندا والساحل الالماني الى همبورج وشمال ايطاليا بما فيها تورينو وجنوى وبارما ومنطقتين أخريين وكان هو امبراطورها . ثم كان هناك الممالك التابعة يحكمها أعضاء اسرة نبوليون — مملكة إيطاليا وهي تشمل عالم يضمّ الى فرنسا من ايطاليا الشمالية والوسطى وكان نبوليون يحكمها بواسطة نائب ملك هو ابن زوجته أوجين ده بوهارنيه . ومملكة نابولي يحكمها عديلهُ مورا . ومملكة اسبانيا يحكمها شقيقه يوسف . واتحاد الرين وهو يشمل المانيا الغربية والوسطى وكان شقيقه جيروم ملكاً على وستفاليا فيها . ودوقية وارسو ولم يتح لها امير من اسرة بونابرت . وكانت سويسرا مستقلة ولكنها في الواقع كانت تابعة . وبقي ذلك حلفاء فرنسا وهي النمسا وروسيا — بعد تضييق نطاقها — والدول اسكندنافية ، وأخيراً كانت روسيا مرتبطة بفرنسا بمعاهدة تلسيت . ولم يكن خارج هذا النظام الفرنسي في قارة أوربا إلاّ جزيرتا سردينية وصقلية يحميهما الأسطول البريطاني ، والبرتغال يحميها الجيش البريطاني الصغير بقيادة ولنغتن

أما بريطانيا فكانت خارج هذا النظام لم تنتظم فيه رضاها ولا أرغمت على الانتظام مع ان نبوليون حاول مرتين حشد جيش على ساحل المانش لإخضاعها . ولكن بعد معركة الطرف

الآخر ابتعد شبح الغزو النبوليوني على الساحل البريطاني، ونبوليون نفسه انصرف عن طريقة الغزو الى طريقة حصر بريطانيا بمنع أوربا من الاتجار معها، حتى تصاب باضطراب اقتصادي يفضي الى اذعانها. ولا يحتمل انهُ قصد الى تحويلها، فقد كانت تملك سيادة البحار، وارتقاء الصناعة فيها لم يكن قد بلغ مبلغاً يحوجها الى استيراد معظم طعامها من الخارج

والفرنسيون لم يفوزوا بالسيطرة على القارة الاوربية، بفضل القوة الحربية المتفوقة لاغير بل كان لنبوليون أعوان في كل بلد. نعم إنَّ الجماعات التي كانت ميالة الى التعاون مع فرنسا كانت أقلية، ولكنها كانت في شمال ايطاليا وبلاد الرين أقلية كبيرة يحسب لها حساب. ويضاف الى هذا ان الحكم النبوليوني في الممالك التابعة، أفضى الى اصلاحات غير يسيرة، استرضت جماهير الناس مدة ما. وفي سنواته الاخيرة، اعتمد على جنود من الايطاليين والبولونيين والالمان وغيرهم. ومع ان الاعتماد عليهم كان غير تام، إلاَّ انهم كانوا يصلحون لبعض الاغراض. غير ان ذلك لم يغنه عن الاعتماد على عدد وافر من الفرنسيين في ادارة البلدان التابعة لفرنسا وحفظ الأمن فيها، وخاصة لأن بوادر البرَم لم تختفر من بلد ما، وفي اسبانيا لم تقبض الادارة الفرنسية على ناصية الحال تماماً، وقتاً ما

بدأت مغامرة نبوليون الاسبانية في سنة ١٨٠٧، « لحماية اسبانيا من الانكليز ». وبدا انها أصابت نجاحاً عند ما توّج يوسف بونابرت ملكاً في مدريد. ولكن ثورة الشعب الاسباني على الفرنسيين، برغم سحقها بالقوة، كانت الثورة الشعبية الاولى على السلطان الفرنسي في اوربا. وكانت المقاومة الاسبانية المستندة الى الجيش البريطاني — وهو لم يخرج من جنوب اوربا الغربي — فعالة في حمل نبوليون على الاحتفاظ بطائفة من صفوة جنده في اسبانيا وانهاك هذه الصفوة. فلما أبى القيصر اسكندر الروسي الاشتراك في الحصر الاوربي ضد التجارة البريطانية، وبدأ نبوليون حملتهُ على روسيا ومزقت أوصال جيشهِ الامبراطوري في الزحف والارتداد، أشرف النظام الأوربي النبوليوني على نهايته، إذ جمعت حكومات أوربا عزمها وحزمت أمرها على الاتحاد عليه. ولم يكن اتحادها هذا ميسّراً، لأن صيت نبوليون قد طبق الخافقين، وكان يُعدُّ قوة لا تُقهر، وكان لابد حتى بعد عودته مقهوراً من روسيا، من كل حذق الساسة البريطانيين ومنزلة القيصر اسكندر ودهاء مترنيخ، للفوز بانشاء « الحلف الكبير ». وكانت النتيجة ما سجلهُ التاريخ عن تقلص ظلّ السيطرة الفرنسية في أوربا ونزول نبوليون عن العرش في فونتنبلو ونفيهِ الى جزيرة البا وعودته منها والفترة المعروفة باسم « فترة المائة يوم » ثم معركة واترلو

* * *

كلُّ هذا يشبه كثيراً ما توالى علينا من الاحداث في بضع السنوات الأخيرة ولرشاء الباحث، لوضع محل « البعقوبيين » في الثورة الفرنسية « الحزب النازي » في المانيا، ومحلّ

« شرطة الثورة » و « كتائب الجستابو » ولوصف الجماعات النازية لفرنسا في ايطاليا والمانيا بالطابور الخامس او جماعة كويزلنج ، ونظام نابوليون بالنظام الجديد . ولقال ان صلح اميان في ١٨٠٢ كاتفاق ميونخ سنة ١٩٣٨ أمنتهما غبة في مهالاة نابوليون وهتلر

ولكن هذا قليل الجدوى ولا حاجة بنا اليه . فهتلر كنابوليون ، توسل بالقوة العظيمة المنطلقة من حركة ثورية ، لغزو معظم القارة الاوربية . وكلاهما واجه مشكلة عظيمة نواتها تنظيم فتوحاتهما في دولة كبيرة تعلو على الدول القومية التي غرست ، لترسيخ اقدام الغزاة وتمكين تحكمهم . وقد أخفق نابوليون في اخضاع بلد عظيم واحد ، هو بريطانيا ، واخفق كذلك في انشاء تلك الدولة الاوربية الخاضعة لسيطرة الفرنسية . فاذا مضت الموازنة بين الرجلين الى نتيجتها المنطقية ، فهتلر سيخفق كذلك على طول المدى . وقد استغرقت المدة اللازمة لظهور اخفاق نابوليون ربع قرن من الزمان . فهل في عهدنا عوامل طرأت على الاجتماع الاوربي ، من شأنها ان تبطل الموازنة القائمة بين مصير نابوليون ومصير هتلر ؟

قبل سنة ونصف سنة من الزمان بدا المتتبعي الحال ، ان هتلر قد يتمكن من غزو بريطانيا فيقضي على القوة الحربية الاوربية الاخيرة التي اعترضت سبيل نابوليون ، وظلت تعترض سبيله . واذا كان ذلك لم يتم فيجب ألاّ نستسلم الى ان المحاولة لا تجدد وان كان احتمال نجاحها الآن بعيداً . وما فتئت تلك المنطقة الضيقة من المياه التي حالت دون تحقيق حلم نابوليون ، تعترض سبيل هتلر . وحرب هتلر على الملاحة البريطانية الآن اشد خطراً من حرب نابوليون ، لأن بريطانيا أكثر اعتماداً على ما تستورده من مواد الطعام . ولكن معركة « المحيط الاطلسي » سائرة بوجه عام في مصلحة بريطانيا مع ان خسارة الملاحة في بحار الارض ليست مما يستخف به . ويجب ان نضيف إلى ان هتلر يجد في الولايات المتحدة الآن خصماً كبيراً قوياً لم يتعين على نابوليون ان يواجهه . واذا كانت الولايات المتحدة غير متأهبة تأهباً يذكر عندما فرضت عليها الحرب في دسمبر الماضي ، فكذلك كانت بريطانيا غير متأهبة لحرب البر في سنة ١٧٩٩ — ١٨١٤ . وعلى كل حال فجميع الاحصاءات والآراء تدل على ان اميركا تسير سيراً حثيثاً في ميداني التأهب الحربيّ والانتاج الحربي الصناعي

وهناك عامل آخر يفرق من الكتاب ، يرى ان الفرق الكبير بين عهد نابوليون وعهد هتلر ، هو ان التقدم في صناعة الآلات الحربية الحديثة يمكن فئة قليلة من الجنود المحنكة المسلحة بطائرات ودبابات ورشاشات ، من ان تبقي شعوب بأسرها خاضعة لها ، فلا تتكرر الآن في فرنسا او غيرها من البلدان المغزوة ، ثورة أسبانيا أيام نابوليون . وقتال العصابات في بعض هذه البلدان معها يتجلّ فيه من ضروب البسالة والوطنية ، عاجز عن اكراه الالمان المسلحين ، على ايخاء قبضتهم ، ما دام السلاح الحديث وصناعته وقفاً عليهم

ولا ريب في ان مقاومة من نوع مقاومة الاسبان لنبوليون ، قد تكون شاقة في هذه الايام . فمن المتعذر مثلاً ان توزَّع الاباذات على الثوار سرًّا ، كما كانت توزَّع البندقيات وسائر الاسلحة الصغيرة . ولكن ، يجب ان نذكر انهُ لولا تأييد الجيوش النظامية للمقاومة الشعبية في أسبانيا في أيام نبوليون لما أجدت المقاومة الشعبية في قهر نبوليون . والجيوش النظامية ، كانت حينئذٍ جيوش ولنغتن في شبه الجزيرة الايبيرية . وثورة الشعوب المغلوبة في عهد نبوليون ، لم تنبّ شعوباً قويّة فعالاً الا بعد عودة نبوليون من روسيا هزيماً . أما الآن فان الروس يحاربون ببسالة عجيبة ، وبراعة فائقة ، وثقة راسخة ، وبريطانيا وأميركا تمدانهم بالمعدات علاوة على ما يصنعونهُ هم في معاملهم . وجيش هتلر أصيب ، ماديًّا ومعنويًّا مع انهُ لا يزال جيشاً قويًّا . واذا تمكن الحلفاء من سيادة جوّ أوربا الغربية بطائراتهم ، فالجيش الذي يقابل جيش ولنغتن ، يستطيع ان ينشىء لهُ قواعد على البرّ الاوربي ، وعندئذٍ تقد تتماثل الاحوال ، على الارجح . ويجب ألاّ ننسى ان نشوء الصناعة الحديثة ، وتعقيدها ، واعتماد الجيوش عليها اعتماداً دقيقاً ، يجعل هذه الصناعة وتلك الجيوش عرضة لخسارة فادحة عن طريق تخريب يسير في مواقع حيوية ، وهذا التخريب قد يتم عن طريق المدنيين في البلدان المحتلة ، أو عن طريق المغيرات القاذفة .

والالمان بشر بوجهٍ عام ، وهم معرضون للتأثر بعوامل الصداقة والحب والتراخي والملل في البلدان التي يحتلونها او يحرسونها . واذا كان اعتماد الالمان في هذه الحراسة على المفتونين المتحمسين من شبابهم الهتلري ، فمن يتقلد زمام الحكم في المانيا نفسها اذا وزعت النخبة التي يعتمد عليها في طول القارة وعرضها ؟ حتى اذا كان في الوسع توزيع النخبة ، فهل تغيرت البواعث الاصيلة في طبيعتهم تغيراً يمكنهم من ان يمتنعوا زمناً طويلاً عن الحب والشهوة والصداقة وغيرها من العوامل التي أضعفت الحاميات الاجنبية في جميع البلدان في العصور السابقة ؟

في العصر الاغريقي القديم ، كان أبناء سبارطة ، قد دربوا تدريباً طويلاً دقيقاً يفوق في طوله ودقته تدريب الشباب الهتلري ، على حساب الواجب والامر الصادر اليهم من الزؤساء فوق كل شعور أو عاطفة . ومع ذلك فان الحامية السبارطية في ثيبة ضعفت حالتها المعنوية بعد بضع سنوات ، فوقعت ضحية لمؤامرة دبرها وطنيو ثيبة وطردت من المدينة . واذا كانت الاسلحة الحديثة أفتك من الاسلحة القديمة ، وهي وقف على الحامية على الاكثر في العصر الحديث ، فان الطبيعة البشرية لم تتغير بواعثها الاصيلة كثيراً خلال الفي سنة من الزمان

ثم عامل ثالث . يقال ان رجال النازي يملكون أداة لم تكن متاحة لنبوليون ، فتمكنهم من الاحتفاظ بسلطانهم على الامم المغلوبة . وهي اداة «الدعاوة» . فالاسلحة الحديثة في أيديهم تقضي على الثورة عليهم . والدعاوة الحديثة في أيديهم تقضي على مشيئة الثورة .

وقد قيل في هذا المعنى الكثير . فمن سنة او نحو كان هناك من يزعم ان الالمان هم زعماء « ثورة الجماهير » في أوربا . وان الجماهير في كل أمة أوربية يستعدون للترحيب بهم لانهم يرون فيهم منقذيهم من النظام القديم ، وان جميع العادات والتقاليد والمثل الاجتماعية والثقافية القومية قد أصبحت من مخلفات الماضي . ومع ذلك نجد ان مشيئة مقاومة النازي يشتد ساعدها ويتسع نطاقها يوماً بعد يوم من بلاد تروج الى يوغسلافيا ومن فرنسا الى بولونيا . وهذه المشيئة قومية لا ريب في ذلك . والدعوة سلاح ذو حدين ، للنازي أحدهما لا غير . ومهما يفعل النازي فانهم حيال فرنسا او غيرها أعجز مما كان نابوليون حيال البروسيين . بل لا ريب في ان دعوة الفرنسيين القائمة على مبادىء الثورة الفرنسية الكبرى ومبادىء الحرية والمساواة والاخاء كانت أفعل جداً من كل ما يقوله جوبلز . بل ان فعال الالمان في تشكيا وبولونيا وسربيا وفرنسا وحتى في ايطاليا ، أبلغ من كل ما يقولون . ومهما تكثر الايحاديث فهؤلاء القوم لا يمكن ان يرضوا عن النظام الالماني الجديد

من الجائز ان يتمكن الالمان في بضع السنوات المقبلة ، من استئصال شأفة المقاومة في البلدان المحتلة ، بممارسة تجويع الجماهير واعدام الزعماء والمفكرين وما أشبه من أساليب القسوة والافناء . ولكن البشر قادرون في اشد الاحوال مشقة وقتاماً على ان يقاوموا مقاومة قد لا يتصورها العقل ، لانها نابعة من أعماق الفطرة وغريزة البقاء . واذا استخرجنا من علم الطب استعارة قلنا ان سم المرض النازي إما ان يميت الشعوب ، وإما ان يدفعها رويداً رويداً الى توليد حصانة ضده . واذا صدقت عبر التاريخ السابقة ، عدنا الى القول بأن الثاني أدنى الى التحقيق

قال روشفنج ان هتلر لا يستطيع ان يقف عند حدٍّ ما ، وان شهوة العظمة فيه ستدفعه الى المضي في طريق تفتح الى ان يصاب الالمان بالاعياء . وقد يكون هذا الحكم صائباً . فنابوليون ، لم يقف حتماً عند حد قبل فوات الاوان . ولكن حتى اذا توقف هتلر او خذلاؤه عند حد فتوحاتهم الحالية وحاولوا ان ينشئوا من هذه البلدان دولة كبرى ، لما كان نجاحهم محتملاً . فالحكم على طول المدى يقوم على « القبول والعادة » . والقبول غير محتمل ، والعادة لا تفرخ كالفطر ، بل تربّى وترسخ زمناً طويلاً ويجب ان تكون تربيتها في احوال يرضى عنها المحكومون . ولا يبدو ان بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا ستتيح لألمانيا فرصة تربية شعوب أوربا على عادة التسليم بالنظام الجديد . ومما لا ريب فيه ان روسيا وبريطانيا لم تتيحا لنابوليون مثل هذه الفرصة مع ان سلطانه ظل قائماً مدى خمس عشرة سنة [1]

(١) يلخص وأب لسل الدكتور ابن برلين استاذ التاريخ في جامعة هارفرد وصدر له عدد من الكتب في «الشؤون الدولية» وقد كتب قبل دخول الولايات المتحدة الحرب ولذلك تعرضه في نبوءته هذه وقد [illegible]

العلم رائد

تنظيم البحث العلمي

وأثره في تطور المجتمع

للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
عميد كلية العلوم

— ١ —

سيداتي سادتي : يروى عن السير إيزاك نيوتن انه سئل كيف اهتدى الى الكشف عن قوانين الجاذبية فكان جوابه بإعمال الفكر . فالسير إيزاك نيوتن الذي وصل الى معرفة نواميس حركات الكواكب ووضع قوانين الحركة بين الاجرام الأرضية والاجرام السماوية يعزو عمله الى الفكر . أردت ان أبدأ حديثي اليكم بهذه الحكاية القصيرة لانني سأتكلم عن التفكير البشري وسأخصه بالبحث والتحليل وسأبين ما له من شأن كبير في حياتنا العلمية والعملية

فقد نحو ثلاثة عشر عاماً لمجتمع لفيف منا في حجرة متواضعة وفكروا في انشاء هذا المجمع . وكان الغرض الذي يرمون اليه ان يكون عندنا أداة تشبه ما عند غيرنا لانشاء الصلة بين العلم والمجتمع ، بين العالم في معمله والرجل العادي في حياته . وكنا جميعاً نعرف ان انشاء هذه الصلة أمر ضروري لا محيص عنه اذا أردنا خيراً بالعلم في مصر وبالمجتمع . كنا نعلم ذلك عن طريق المشاهدة لما هو حادث في البلاد المتمدينة وكنا نعلمه أيضاً عن طريق التفكير المنطقي البسيط . واذكر ان أحدنا ولعله الاستاذ فؤاد صروف أشار في خطبة له في اول اجتماع لهذا المجمع الى ان الاحتمال الوحيد ، اذا نحن لم نصل بين العلم والمجتمع انما هو الرجوع الى عصر السحر والطلاسم ، الى العصر الذي كان فيه رجال الدين في مصر القديمة يخصون أنفسهم بالعلم ويتخذون منه وسيلة للسيطرة على العامة من الناس ويتلمسون فيه قوة خفية تلقي الرعب في نفوس الجماهير وتخضعهم لارادة السادة من رجال الكهنوت

وقد شاءت الظروف ان يؤلف هذا المجمع وان يستقر أمره وان يعقد اجتماعات منتظمة وأجرى شهرية مدة نيف وثلاثة عشر عاماً . واذا نحن استعرضنا مجموعة الابحاث التي ألقيت

(١) الجانب الاول من محاضرة الرآسة في المجمع المصري للثقافة العلمية سنة ١٩٤٢

فيه ، وجدناها تتصل جميعاً بالغرض الأساسي الذي أنشىء المجمع من أجله . فالعلم ينمو حتى يصير في متناول القارىء العادي والتفكير يتجه نحو المسائل التي ترتبط بحياة العامة والفنية ، والبحث ينصب على الشئون الحيوية التي تؤدي الى رفعة المجتمع وثروته ورفاهيته

ومن الاغراض التي نرمي اليها في اجتماعاتنا ونحرص عليها الحرص كله تبادل الرأي فيما يثار من مسائل . فالخطيب او المحاضر يلقي علينا نتائج تفكيره وما اهتدى اليه من حلول ثم يحدث تفاعل بين تفكير الفرد وتفكير الجماعة يؤدي في الغالب الى تقدم وكسب حقيقي في حل الأمور التي يعرض لها . هذا التفاعل بين تفكير الفرد وتفكير الجماعة هو في نظري العامل الحقيقي في تقدم العلم والمجتمع . واذا نحن رجعنا الى تاريخ الحركة العلمية في اوربا وجدنا ان هذا العامل كان له أكبر شأن في تقدم العلوم . فالمجامع العلمية في عواصم أوربا انما أنشئت بغية هذا التعاون الفكري بين الفرد والمجموع . ففي انكلترا مثلا نشأ مجمعها العلمي وهو الذي يسمى الجمعية الملكية باجتماع بعض المفكرين بغرض تبادل الرأي في المسائل العلمية . ففي عام ١٦٤٥ اجتمع نفر من المشتغلين بالمسائل العلمية في انكلترا في غرفة احدهم وهو «الدكتور ولكنز» الاستاذ بجامعة أكسفورد ، بغية التحدث في الفلسفة الجديدة او الفلسفة الطبيعية كما كانت تسمى في ذلك العصر او بعبارة اخرى في المسائل العلمية كما نسميها اليوم . هذه الفلسفة الجديدة او الفلسفة الطبيعية كانت تنحصر في شيء واحد وهو امكان الوصول الى المعرفة عن طريق المشاهدة المباشرة . وربما ظهر لنا اليوم ان هذا أمر بديهي . ولكن علينا ان نتذكر ما كان للكنيسة في ذلك العصر من سيطرة على التفكير ومن سلطة على الجامعات . فجامعة اكسفورد كانت موجودة وجامعة كمبردج كذلك ، وكان لكل منهما مقام معلوم . وكان قد مضى على إنشاء كل منهما ما يقرب من خمسة قرون . وكان الاساتذة يتولون إلقاء الدروس ويمنحون «الدكتوراهات» وينشرون المؤلفات ولم يكن ذلك قاصراً على انكلترا وحدها بل ان الجامعات كانت قائمة في انحاء القارة الاوربية في باريس وفينا وبالرمو وغيرها كما هي اليوم . ومع هذا كله رأى الدكتور ولكنز وزملاؤه ان يجتمعوا في حجرته الخاصة ليتبادلوا الرأي في الفلسفة التجريبية . وكلنا يعلم ما أدى اليه هذا الاجتماع البسيط من انشاء الجمعية الملكية عام ١٦٦٠ واعتراف الملك شارل الثاني وغيره من الكبراء بقيمتها ، وكيف ان السير روبرت بويل شارك في عضوية هذه الجمعية وألقى عليها بكونه في مقدمة اعضائها من نواحي العلم وكيف انه انتخب رئيساً لها وبقي في الرئاسة بقية حياته وكما ان هذا كان عمل هذا المجمع العلمي في انكلترا ، وعملت المجامع العلمية المشابهة له في انحاء العالم على تقدم العلوم ونشرها ورفعة شأنها

— ٢ —

من ذلك ترون أن تقدم العلم انما جاء عن طريق البحث والتفكير كما ترون ايضاً ان هذا البحث ولو كان ينسب في العادة الى الافراد كأن ينسب التطور بالتطور الى داروين او ان ينسب الكشف عن عنصر الراديوم الى كوري، أقول ولو كان ينسب الى الافراد، الا انهُ في الواقع نتيجة لتفكير الجماعة . فلولا الكشوف التي سبقت عصر داروين في علم الحيوان وفي علم النبات لما قال داروين بالتطور . بل لولا ما كان يحيط بداروين من تفكير منظم في عصره لما استطاع أن يعمل ما عملهُ وان يضيف ما أضافهُ الى التفكير البشري . كذلك لولا بحوث بكرل ومن سبقهُ من علماء الطبيعة ، بل وعلماء الكيمياء ولولا التعاون التفكري الذي كان يحيط بعدام كوري وزوجها لما استطاعا ان يفسرا السواد ألواحها الحساسة بنسبته الى شعاع خفي من عنصر جديد . فتنظيم البحث والتفكير اذن شرط من شروط تقدم العلم ولعلَّ هذا الشرط هو العامل الاول في ازدياد الانتاج العلمي في العصر الحديث

كيف يكون اذن هذا التنظيم ؟ قبل أن أجيب عن هذا السؤال سأستعرض حالة البحث العلمي في البلاد المتمدينة ثم احاول ان اطبق ذلك على مجتمعنا المصري وان استرشد به فيما يجب علينا ان نصنعهُ في مصر مع مراعاة ما يحيط بنا من احوال خاصة وما بيننا وبين غيرنا من فروق ومخالفات

لننظر اذن الى بلد من البلاد المتمدينة التي تنهض بمصيرها في البحوث العلمية نجد انهُ في كل حالة تنقسم البحوث الى نوعين رئيسيين . بحوث في العلم البحت وبحوث في العلوم التطبيقية ويجدر بي ان أسجل هنا الفرق بين هذين النوعين من البحوث اذ كثيراً ما يختلط امرهما حتى على المشتغلين منا

فالبحث العلمي البحت غرضه الوصول الى المعرفة أو الاضافة الى علم البشر . هو بحث يراد به الكشف عن أسرار الطبيعة على حد التعبير المعتاد . فنحن نعلم اشياء ونجهل اشياء. فمن بحث عن المجهول وأضافه في دائرة المعلوم كان بحثهُ بحثاً علمياً بحتاً . وأظن هذا المعنى قد صار واضحاً في غير حاجة الى اسهاب

أما البحوث التطبيقية فلها غرض آخر ليس هو الوصول الى المعرفة وانما هو الوصول الى القدرة فنحن نقدر على أشياء ولا نقدر على غيرها . فمن مكاسبنا من علم ما لم نكن نقدر عليه من قبل فقد بحث بحثاً تطبيقياً ناجحاً . ولأضرب لذلك مثلاً . في النصف الثاني من القرن الماضي قام هايرتش هيرتز ببحوث في علم الطبيعة برهن بها على وجود أشعة كهربائية تنتقل في

الفضاء فاهتم العالم العلمي بكشفه هذا . وكان أهم ما يعنى به العالم العلمي في هذا الوقت هو أمر هذه الأشعة من جانب محاولة لإيجاد كلارك مكسويل فيما يجب ان تكون عليه المعادلات الرياضية التي تربط بين الكهرباء والمغناطيسية . كانت معادلات كلارك مكسويل متفقة مع علم البشر عن خواص الكهرباء وارتباطها بالقوى المغناطيسية . فلما جاء كشف هيرتز عن أشعته الكهربائية تم تحقق معادلات مكسويل وصار من الممكن لعلماء الطبيعة ان يخبرونا بقوانين الكهرباء وارتباطها بالقوى المغناطيسية . ولذلك عُدَّت أبحاث هيرتز هامة في تقدم العلوم ومُنِح الألقاب الفخرية والجوائز والميداليات على عمله . أرجو ان تلاحظوا ان هؤلاء العلماء الذين أعجبوا بعمل هيرتز وقدروه حق قدره انما دفعهم الى ذلك شغفهم بالمعرفة وتعلقهم بالكشف عن أسرار الطبيعة . كما أرجو ان تلاحظوا ان قيمة العمل الذي قام به هيرتز في نظر هؤلاء العلماء إنما كانت بالنسبة الى ما لهذا العمل من أثر في تقدم العلم . ثم حدث بعد ذلك ان تنبه المشتغلون بالبحوث التطبيقية الى ما لعمل هيرتز من شأنٍ من وجهة نظرهم اذ رأوا فيه وسيلة تمكنهم من شيء لم يكونوا يقدرون عليه ألا وهو التراسل اللاسلكي . فاذا كان هيرتز قد كشف عن وجود أشعة كهربائية تنتقل في الفضاء ولا تحتاج الى سلك او وسيلة مادية لنقلها فلماذا لا تستخدم هذه الأشعة في التراسل فيتمكن بذلك البشر من ارسال تلغرافاتهم دون الحاجة الى مد أسلاك فوق الارض او تحت الماء . انكم ترون ان هذا التفكير يختلف تمام الاختلاف في غرضه عن تفكير علماء الطبيعة الذين شغفوا بعمل هيرتز حبًّا في العلم ورغبة في المعرفة . وقد حدث كما تعلمون ان قام مهندسون ومخترعون بالبحث التطبيقي في التراسل اللاسلكي اشتهر من بينهم ماركوني بعنايته واتساع حيلته . ولعل في هذا المثال ما يكفي لتوضيح الفرق بين البحوث العلمية البحتة والبحوث العلمية التطبيقية

اذن فنحن أمام نوعين من البحث العلمي يختلفان في الغرض ومع ذلك فبينهما اتصال وثيق والعلاقة بينهما بصفة عامة هي العلاقة بين الأصل والفرع . فالبحوث العلمية البحتة هي الأساس والبحوث التطبيقية مبنية عليها . ولا يمكن تصور البحث التطبيقي الا على أساس من العلم الأكاديمي . على ان العلاقة بين النوعين من البحث ليست بسيطة الى هذا الحد . فتقدم البحث التطبيقي يؤدي الى تقدم الصناعات المختلفة وتقدم الصناعات يضع في يد العالم الباحث أجهزة أدق وأحكم تساعده في الكشف عن أسرار الطبيعة . وبذلك يرد العلم التطبيقي الى العلم البحت شيئًا من حسن صنيعه

تلك اذن مسألتان أو بالأحرى ثلاث مسائل : —

أولاً — كيف ينظم البحث العلمي البحت

ثانياً — كيف ينظم البحث العلمي التطبيقي أو الصناعي
ثالثاً — كيف تنظم العلاقة بين هذين النوعين من البحوث

— ٣ —

في المسألة الأولى نجد أن البحوث العلمية البحتة في البلاد المتمدينة يتولاها في العادة رجال الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة فالأساتذة والمدرسون وغيرهم من اعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العلمية العالية يقوم كل منهم ببحوثه الخاصة متعاوناً في ذلك مع غيره من المشتغلين في فرعه والاستاذ في الجامعة يشعر ان أول واجب عليه متابعة البحث العلمي ويضع هذا الواجب فوق واجباته الأخرى كالقاء الدروس وتنظيم الدراسات وما اليها. وجميع أساتذة الجامعات أعضاء في المجامع والجمعيات العلمية المختلفة كل في دائرة تخصصه . ولا يقتصر الأستاذ على متابعة أبحاثه الخاصة بل عليه أن يكون ملهماً لغيره ممن هم دونه في الرتبة العلمية ومشرفاً على بحوثهم ومرشداً لهم . ولذلك لا يصل الاستاذ الى كرسي الاستاذية الا بعد أن يثبت قدرته على البحث العلمي المبتكر وعلى ارشاد غيره فيه. فأعضاء هيئة التدريس في كل فرع من فروع العلم يؤلفون أسرة رئيسها الاستاذ صاحب الكرسي ، تعمل كوحدة متماسكة في ميدان البحث العلمي يسترشد صغيرها بكبيرها ويتعاون الجميع على البحث والابتكار

والأمم المتحضرة تتسابق في ميدان المعرفة وتتنافس تنافساً شديداً . فالجامعات والمجامع العلمية في انحاء المعمورة في جد متواصل تبحث وتنقب وتتحرى والمجلات والنشرات التي تخصص لهذه البحوث تعد بالألوف في كل عام .هذه المجلات يطلع عليها العلماء والباحثون ويتبادلون فيها نتائج تجاربهم وآرائهم العلمية لا فرق في ذلك بين أميركي وياباني أو بين انكليزي وفرنسي في مسألة مؤتمر دائم للعلوم يوحد بين وجهات النظر ويمحص الآراء ويعمل على تقدم العلم وتقدم الانسانية جمعاء والعلم العلمية لأمة ما ، بمقدار ما تنتجه في هذا الميدان فهو عنوان حيويتها العلمية ومعيار نشاطها الفكري . هذه المجلات التي تحتوي خلاصة التفكير العلمي لا يقرأها الرجل العادي في الشارع ولا يعرف بوجودها وان هو قرأها فانه لا يكاد يفقهها لاحتوائها على رموز ومصطلحات لم يألفها في ذهنه . ويحدث في بعض الاحيان أن تنشر مجلة الجمعية خبر منح جائزة نوبل لفلان من العلماء فاذا قرأه مثل هذا الخبر فان معناه ان أعمال هذا العالم المشهور في هذه المجلات قد وصلت الى الحد الذي يجعل صاحبها في مصاف البارزين من علماء . وقد لا يكلف من يسمع باسم عالم او بحث مقترناً برأي ينسب اليه كأن يسمع باسم انشتين مثلاً يعلن نظريته النسبية فاذا حدث ذلك فان معناه ان الابحاث التي نشرها هذا

العالم في هذه الحالات والآراء التي أدلى بها قد وصلت الى الحد الذي يجعل صاحبها قائداً من قواد التفكير العلمي وان الرأي المنسوب اليه قد صار رأياً يعتد به بين العلماء . ولعل هذين المثالين هما مبلغ ما يصل الى علم الرجل العادي عن حركة التقدم العلمي وليس معنى هذا ان سر المعرفة يجري في الظلام او ان العلم قد أصبح نوعاً من السحر أو الطلاسم الخفية مقصوراً على طائفة معينة من المجتمع كما كان في عصر المصريين القدماء بالشكل الذي اشرت اليه في اول حديثي بل بالعكس ان من أميز مميزات هذا النوع من البحث انه اي اباحته لكل قادر ونشر نتائجه نشراً حراً بعيداً عن كل رقابة ويغير ان يكون للناشر او المؤلف حق ما من حقوق النشر و التأليف فهو عمل يقصد به وجه العلم ولا ترجى من ورائه أية فائدة الا التناقس المشروع بين العلماء . وما كان البحث العلمي البحت لا يقصد به فائدة مادية مباشرة مما كان من الواجب على كل أمة ان تشجع كل ذي موهبة على متابعة ابحاثه وان تهيء للباحثين أسباب الاطمئنان وتيسر لهم عيشهم لكي يتفرغوا لبحوثهم . وكما ان العرف قد جرى بيننا على ان يقوم الميسورون منا بوقف أموالهم على أعمال البر المختلفة كانشاء المدارس والمدارس والمستشفيات كذلك جرى العرف عند غيرنا من الأمم المتحضرة على ان يقف موسروهم أموالهم على البحث العلمي فنجد في كل جامعة وفي كل جمعية علمية أموالا مخصصة للبحث العلمي وصلت اليها عن طريق الهبات والتبرعات . ولا يقتصر الامر عند حد ما يجود به الأفراد من مال بل ان الحكومات تخصص في ميزانياتها مبالغ ضخمة للصرف على البحوث العلمية البحتة فتصرف المكافآت الدراسية التي هي نوع من الترتيبات الى النابغين من خريجي الجامعات لكي يتفرغوا الى البحث العلمي كما تشتري الاجهزة العلمية وتبنى المعامل وتجهز للبحث العلمي من هذه الاموال ولعلكم تذكرون اسم كارنيجي الاميركي الموطن الاسكتلندي الأصل صاحب الملايين الذي أوصى بملايين الدولارات للبحث العلمي في سائر أنحاء العالم كما تذكرون اسم نوبل السويدي الذي أوصى بجزء من ثروته الضخمة كمكافآت على البحث العلمي الممتاز وغير هذين كثيرون وتبلغ الاموال التي تخصصها الدولة في انكلترا وحدها ملايين الجنيهات توضع تحت تصرف الجامعات والمجامع العلمية لتصرفها في تشجيع البحث العلمي

هذا هو الحال إذن في الدول المتمدينة . جامعات تعمل وجمعيات علمية تنشر وتشرف ومجلات علمية تطبع وتنشر وأموال تخصصها الدولة ويهبها الافراد لتصرف

ولعله يكون من المفيد ان أشير الى الطريقة التي تتبع في تنظيم صرف هذه الاموال ففي انكلترا مثلاً يتولى مجلس ادارة الجمعية الملكية الاشراف على هذا الصرف وذلك عن طريق لجنة باحث تخصص منحة مالية معينة من اموال الجمعية تقدم طلباتها الى لجنة البحث العلمي بالجمعية الملكية وهي لجنة

الادارة هذه الطلبات جميعها والبت فيها في ضوء التوصيات التي تصل اليه من العلماء المعروفين وفي ضوء الخبرة الشخصية لأعضاء المجلس . وفي أميركا هيئة عليا تسمى مجلس الابحاث الوطني يعهد اليها في تنظيم الصرف على البحوث العلمية والنظر في الطلبات التي تقدم اليه . وفي فرنسا قبل الحرب الحالية خصصت وكالة وزارة بالبحث العلمي وجعلت لها ميزانية تصرف منها على تشجيع البحوث وأعانتها . وفي كل بلد من البلاد المتمدينة الاخرى توجد وسيلة قومية حكومية أو غير حكومية لتنظيم الصرف على البحوث العلمية ويجب ان نذكر أن هذه المبالغ التي تخصص للبحث العلمي هي غير ما تخصصه الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة . فالجامعات ما فتئت المقر الرئيسي للبحوث العلمية وهي تنفق على هذه البحوث من أموالها الخاصة ومن الهبات والتبرعات والاعانات الحكومية

— ٤ —

هذا هو الحال الآن في الامم المتحضرة ولنا ان نستخلص منه دروساً ننتفع بها في تنظيم حياتنا العلمية . فمن ناحية يجب علينا ان نعنى بالبحث العلمي في الجامعة التي انشأناها وفي كل جامعة اخرى تقوم بانشائها . يجب علينا ان نذكر أن مقام الجامعة بين جامعات العالم لا يكون بعظمة مبانيها ولا بكثرة طلبتها ولا بضخامة ميزانيتها . وانما تقاس رفعة الجامعة وعلو شأنها بمقدار ما تنتجه من البحوث العلمية فهذه هي التي تنشر على الملأ بين العلماء وهي التي تبقى على مرّ العصور . يجب اذن ان نحرص كل الحرص على انتقاء اساتذة الجامعة من بين الذين برهنوا على مقدرتهم على البحث العلمي وشغفهم به وارشاد غيرهم فيه ويجب ان نسارع الى تشجيع الباحثين منا بكل ما تملك الدولة من وسائل مادية وأدبية . يجب ان يشعر كل مشتغل في ميدان البحث العلمي ان عمله مقدور مشكور وان ميدان هذا العمل هو الميدان الوحيد للتنافس بينه وبين غيره من الباحثين وعلى أولي الأمر ما ان يعنوا اشد العناية بهذه الناحية من نواحي الحياة الجامعية وان يضعوا هذا الاعتبار فوق كل اعتبار آخر وألاّ يخاروا بعض قصيري النظر ممن يقيسون عمل الجامعة وحاجاتها بعدد الطلبة وعدد الدروس التي تلقى عليهم . ومن ناحية اخرى يجب ان نسارع الى انشاء مجمع علمي يتصل اتصالاً وثيقاً بحياة علمائنا وباحثينا ويكون له من المقام العلمي ما لغيره من مجامع الأمم المتحضرة . وفي رأيي ان انشاء هذا المجمع امرٌ لا مفر منه اذا اردنا للبحث العلمي في مصر نموّاً واطراداً . واختيار اعضاء هذا المجمع عمل من أهم الاعمال وأبعدها أثراً في مستقبل حياتنا العلمية فالجاه والمنصب والنفوذ الشخصي جميعها أمور محلية يجب أن لا نقيم لها وزناً

في اختيار اعضاء المجمع . والشيء الوحيد الذي يجب ان يدخل في حسابنا هو المقام العلمي المبني على الانتاج المبتكر في ميدان البحث العلمي . ومن ناحية ثالثة يجب علينا ان نعنى بنشر البحوث العلمية التي يقوم بها اساتذة الجامعة وسائر المشتغلين بالبحث والابتكار . فالكثير منا يكتفي اليوم بنشر ابحاثه في المجلات الاجنبية لما لهذه المجلات من مكانة معترف بها ولو جمع ما ينشر في كل سنة من بحوث المصريين والمقيمين في مصر في هذه المجلات الاجنبية ، ووضع بين دفتين لكفى لاخراج مجلة بل لعلهُ يكفي لاخراج مجلات متعددة

وفي رأيي انهُ قد آن الأوان لتنظيم اصدار مجلة او عدة مجلات علمية في مصر واذا أنشيء المجمع الذي أشرت اليه فان البحوث التي تلقى فيه ستنشر بطبيعة الحال في مجلة دورية . وتصدر بعض الهيئات العلمية في مصر اليوم مجلات دورية او نشرات متسلسلة تدوّن فيها بحوثها العلمية . وفي البلاد الأخرى تعرض البحوث عادة على محكمين متخصصين يقومون بفحصها وتقرير صلاحيتها او رفضها ولا يضير المجلة او الهيئة العلمية ان يكون المحكمون خارجين عنها فالبحث العلمي اليوم قد وصل الى درجة عالية من التخصص الضيق بحيث لا يوجد في العالم كله إلاَّ نفر قليل يستطيع كل منهم ان يحكم على مستوى بحث معين ونحن اذا سلكنا هذا السبيل فلن يضيرنا الالتجاء الى محكمين من غير المقيمين في مصر كلما وجدنا ضرورة لذلك لكي نحتفظ بمستوى عالٍ لمجلاتنا العلمية . وستكون اللغات التي تنشر بها الابحاث هي اللغات العلمية الاربع المعترف بها في المؤتمرات الدولية ولكن واجبنا نحو اللغة العربية ونحو أنفسنا يقضي علينا بنشر تراجم او ملخصات عربية لكل ما ينشره

فاذا نحن قمنا بانشاء مجمع علمي على النحو الذي ذكرتهُ ونظمنا نشر البحوث بالطريقة التي وصفتها فان على الدولة ان تقوم بتخصيص المال اللازم لتشجيع البحوث والانفاق عليها وعلى رجال العلم ان يطالبوا الدولة بذلك لانهم أبصر من غيرهم بضرورته وفائدته

« . . . ان علماءنا ومستنبطينا أغلى ممتلكاتنا القومية . كل مليم من المال »

« مهما يعظم ، ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال المختصين بالقدرة على الابداع »

« وبالتفاني والمثابرة على ترقية الفكر العلمي . . . اننا لا نستطيع ان »

« نقوّم ما عملوه لترقية العلوم بكل ربح البنوك في جميع انحاء العمور . . . »

هربرت هوفر ، رئيس الولايات المتحدة السابق

قطرات ندى

لراجي الراعي

---

* البحر كأس من الماء اذا شرب هرقل . .
* الرمال شرر الصحراء يتطاير من لهيب قلبها المشتعل . .
* البصر بعض البصيرة او هو أداتها . .
* البيت من الشعر في ملحمة الخالق ، صدره ما سبق الظهيرة وعجزه ما تلاها ، والغروب هو القافية . .
* الغصن الذي يحمل الثمرة اليانعة يدٌ تشير الى الحيرة والحنكة
* كلما قطّعوا الاوتارَ حيثُ قلبي بيدي . .
* الأمثال دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس
* الرماد نار شابت !
* الأرض تفرح كرمها بالبراكين . .
* الموجة شهوة البحر
* الرماد ثورة سكتت او جنون صحا أو جريمة ندمت أو ضجرٌ تاب . .
* ان للبحر اسراراً يهمسها في آذان لآلئه المتواضعة وأصدافه الخاملة الأمينة لأنه يثق بها أكثر مما يثق بموجته الطائشة المزبدة الحمقاء . .
* الصدور ألواح العمر الذي يتربع عليه الموت . .

العلم والأدب والأساطير

في كتب السلف [1]

الأمير مصطفى الشهابي
وزير المعارف السورية سابقاً

لا يجهل أحد ان أجدادنا العرب قد خلفوا لنا تراثاً علمياً وأدبياً ضخماً ، وان معظم ما ولدتهُ قرائح السلف من الكنوز الثمينة قد طوته الايام في طياتها ، وغيبته في مجاهلها ، فتفقد واندثر ولم يبق منهُ سوى أسماء مصنفات يقرؤها المرء في تراجم المؤلفين . ولكن الجد العاثر لم يقوَ على اتلاف جميع هذه المصنفات ، بل لبث منها جملة صالحة مبثوثة في دور الكتب العامة والخاصة في الشرق والغرب كدار الكتب المصرية في القاهرة ودار الكتب الظاهرية في دمشق ودور كتب ليدن وبرلين والاسكوريال ولندن وباريس وغيرها كثير

ومن المعروف ان علماء العرب والاسلام كانوا إبان مدنيتهم الزاهرة حلقة مهمة من حلقات تاريخ العلوم البشرية . ولهذا اذا ألممنا النظر في مخلفاتهم ألفيناها تتضمن خلاصة علوم الاجيال القديمة ، أي زبدة ما ولدتهُ قرائح الأمم التي درجت قبل العرب في القرون الأولى ، مع اضافات جليلة أضافها علماء العرب اليها في مختلف العلوم ، ولا سيما فيما له صلة بالعلوم الاسلامية وعلوم اللغة وفنون الادب العربي

ولا ينكر أحد فضل المستشرقين علينا فيما نشروه من تلك الكتب في القرن الماضي وفي القرن الحاضر ، بعد ضبط موادها وتمحيصها وفهرستها وضبط كثير من كلماتها بالشكل الكامل وطبعها على ورق صقيل بأحرف جميلة وابرازها للناس بحلل قشيبة . ولا ينكر أحد أيضاً فضل مطبعة بولاق الأميرية ، ودار الكتب المصرية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر فيما نشرته وتنشره من الكتب القديمة والحديثة

والذي حداني على كتابة هذا المقال وقوع نظري على بعض كتب قديمة نشرها ناشرون حديثاً دون أن يتساءلوا هل في نشرها فائدة أو لا ، فالكتب القديمة ليست كلها مفيدة ، بل يمكن القول بأن بعضها مضر ولا يجوز ان يقرأه الناس في أيامنا هذه . وليس في قولي هذا غرابة ، وإقامة الدليل عليه من أبسط الأمور . وما علينا الا أن نلقي نظرة على أنواع العلوم التي صنف فيها أسلافنا العاملون فتتجلى لنا هذه الحقيقة بأجلى مظاهرها

(١) محاضرة ألقيت في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق وحضرها المؤلف بنشره

﴿ علوم السلف ﴾ يمكن قسمة علوم السلف ، من حيث بحثنا هذا ، ستة أقسام وهي : أولاً — علوم الدين . ثانياً — علوم اللغة . ثالثاً — آداب اللغة . رابعاً — ضروب الفلسفة خامساً — العلوم المادية . سادساً — العلوم الاجتماعية

فالعلوم الدينية من فقه وحديث وعقائد وغيرها لا نتعرض لذكرها ، لأن لها في الأزهر وغير الأزهر علماء أعلاماً هم أدرى منا بحقائق ما صنفه أسلافهم فيها ، وبما يفيد أو لا يفيد نشره من تلك المصنفات . ولا بدّ لكل شخص يلمّ إلماماً بالكتب المذكورة من أن يدهش للجهود الكبيرة الفضلية التي جعلتهم يطلعون علينا بهذا التراث العظيم . لكن الكتب القديمة للعلوم الدينية خصم واسع الأرجاء يضلّ فيه أمثالي ويتمنون أن يقرأوا بدلاً منها كتباً دينية حديثة مبسطة حسنة الترتيب والتبويب خالية من الحشو والتطويل ، يستفيد منها غير المتعممين قبل المتعممين . ولو صنف علماء اليوم كتباً كهذه وجعلوا الكتب القديمة للاختصاصيين من علماء الدين دون غيرهم ، لأفادوا جمهور المتأدبين فوائد كبيرة

أما كتب اللغة التي صنفها الأجداد فلا غنى لنا عنها وبها نصنف ما هو أجود منها في هذا الزمان الذي اتسعت فيه المعارف البشرية حتى ضاقت معجماتنا عنها كل الضيق . فالقاموس المحيط واللسان والصحاح والمخصص والتاج وأساس البلاغة وأمثالها كلها اليوم ضرورية . وقد خدم مؤلفوها لساننا العربي خدمة جلى . ولا بدّ من الاحتفاظ بها ونسخها المشذبة أي المعاجم الحديثة كمحيط المحيط وأقرب الموارد والمنجد والبستان وأضرابها . ولكن جميع هذه المعاجم لا تصلح في الحقيقة لزماننا هذا لأن فيها من العيوب والنقائص ما لا يعد ولا يحصى وحسبك منها أن معظم ما ورد فيها من الأشياء والمصطلحات لم يُعرَّف تعريفاً علمياً [١] .

ولست أدري متى يصبح عندنا معجم عربي كمعجم لاروس الصغير مثلاً ، ضبطت فيه معاني الألفاظ ضبطاً علمياً ، ومتى يكون لنا معجم فرنسي عربي يشتمل على أجود الكلم العربية أو المعربة لمصطلحات العلم والمخترعات الحديثة ، ولست أدري من هم عشرات العلماء الذين يستطيعون صنع هذين المعجمين حتى أن يعمل كلٌّ منهم في نطاق اختصاصه ، ومهما يكن من أمر فلا بدّ لنا قبل تحقيق هذه البغية من الاستعانة بالمعاجم القديمة والحديثة ، ومن التنقيب بما يطلع من أبحاث اللغة كالافصاح الذي اختصرت فيه ألفاظ المخصص ، وكرسائل المعالبي التي كانت نشرت في مطبعة بيروت للآباء اليسوعيين ، وكأدب الكاتب لابن قتيبة الذي نشره الكاتب الأديب السيد محب الدين الخطيب ، وكرسالة الكرم التي نشرها الأستاذ المغوي سليم الجندي في مجلة المجمع العلمي العربي الخ

(١) انظر مقالنا في عيوب المعاجم العربية في عدد تشرين الأول ١٩٤٠ من المقتطف

وأما آلات اللغة وأخص منها الصرف والنحو فكتبها القديمة هي النبع الذي يستقي منه كل أديب متمكن من لسانه . ولا سبيل الى نكران الثمرات التي يجنيها المتأدبون من تلاوة كتاب سيبويه ومغني اللبيب وشرح الشافية وأمثالها . ولكن من ذا الذي ينكر ان قواعد لغتنا العربية تحتاج الى تبسيط ، وان الانكباب على كتب الصرف والنحو القديمة يعدّ من الأمور الفنية ، وان طلاب الادب يرجحون تلاوة الكتب المدرسية الحديثة لسهولة فهمها.

ومع هذا لا بدّ لنا من الاحتفاظ بالكتب القديمة ليرجع اليها أساتذة اللغة وعلماؤها

﴿ كتب الادب القديمة ﴾ هي في نظري من أعظم مخلفات الاجداد شأناً ، ومن أشدها تأثيراً في كياننا القومي . فهي التي تعلمنا بيان لغتنا وتعابيرها ومصطلحاتها ، وهي التي تطلعنا على جانب من مدنية أجدادنا وعلى كثير من عاداتهم وأخلاقهم وسيرهم وحكمهم وأمثالهم ومعيشتهم ، سواء في ذلك البدون أم المتحضرون منهم . وأرى أنهُ لا يمكن ان تقوم قائمة لشعب من الشعوب في عصر القوميات هذا ، اذا أهمل تراث لغته الأدبي . ولهذا وجب ان نهتمّ بكتب أدبنا القديم لا لما فيها من فوائد بيانية حسبُ ، بل لما حوتهُ من شئون قومية يستفيد منها كل عربي صميم ، دع الذين عروبتهم من قوارير . ويتضح من ذلك ان العمل على نشر أمهات كتب الادب يعد من الأمور الحيوية للغتنا ولقوميتنا جميعاً . ولا تقدر الفوائد التي تحصل عليها من مثل طبع الكامل والأمالي والبيان والتبيين والأغاني والعقد الفريد ونشوار المحاضرة ودواوين فحول الشعراء وتراجم كبار الأدباء . ولا يقل شأناً عن ذلك جمع أمثال العرب وحكمهم وقصصهم كما فعل مصنفا كتاب (قصص العرب) المطبوع في مصر حديثاً

واذا دعوت الى ضرورة طبع كتب الادب القديمة والى ابرازها على المتأدبين بحلل قشيبة : والى اقبال شبابنا المتفقين عليها ، فلست أنكر ان الادب العربي كائن حي يجب ان يتطوّر مع الزمن كسائر الأحياء ، وانهُ يجب ان يكون لنا أدب جديد يتناول من شئوننا الحاضرة ما تناوله الادب القديم من شئون آبائنا الأولين . فأنا اذن لا أقول بوجود أدب قديم وأدب جديد . بل بوجود ادب عربي واحد حي تام يتطور مع الزمن بأساليبه وصوره وعلى شبابنا المثقفين ان يتزودوا بالسائغ من هذا الادب قديمه وحديثه . فمن القديم يتعلمون ملكة البيان في دقائق التعبيرات والمصطلحات ، ومن الجديد يتعلمون اساليب العربيين او قل أساليب المتأخرين في الانشاء الواضح والافكار المتسلسلة

وفي الادب القديم يعيشون بخيالهم في مجتمعات الاجداد ويتعلمون عيشهم . وفي الأدب الجديد يجدون صور مواطنيهم وغير مواطنيهم من الأجيال الحاضرة ، وصور البيئات التي يعيشون فيها . ويتضح من ذلك ان في قديم الادب العربي وحديثه امراً ينبغي لكل متأدب الاطلاع عليها على السواء . ومن خطل الرأي بل من التجني على لغتنا وعلى قوميتنا

القول بأن الأدب العربي القديم لا يصلح لهذا الزمان ، وانه يجب ان نقطع صلتنا به . ومن حقي أن أرى بدلاً من التحي عن لغة الضاد الأكفاء بأساليب الأدب القديم والاعراض عن اساليب عصرنا الحاضر . فاللغة العربية يجب ان تظل حية نامية . ولا يتيسر هذا ذلك الا اذا صور أدباؤنا المحدثون بيئتنا الحاضرة بأساليب الغربيين وبيان الأدب القديم واشراقه

﴿ العلوم نادية ﴾ هي بيت القصيد في هذا المقال . وقد حفزني الى كتابته اقدام بعض الجماعات على نشر مخطوطات عربية قديمة في علوم طبية وزراعية لا تصلح لزماننا هذا

ومن المعلوم ان العرب القدماء قد اشتغلوا كثيراً بالعلوم الرياضية والطبية والزراعية كما اشتغلوا بالكيمياء والنبات والحيوان وغيرها . فالعلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة ومثلثات وفلك لا يغير الزمان قواعدها ونظرياتها المضبوطة . ولا يكون اثنان واثنان الا اربعة سواء أفي الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل . ولا ضير اذن في نشر ما امكن نشره من مخلفات الأجداد في هذه الموضوعات الرياضية ، ولاسيما اذا تمشى ترتيبها وتبويبها مع مقتضيات عصرنا الحاضر

اما العلوم الزراعية فقد تبدلت عما كانت عليه في القديم تبدلاً كلياً . فمنذ أوائل القرن التاسع عشر كشف العالم السويسري (سوسور) حقائق عظيمة الشأن في الفسيولوجية النباتية من الوجهة الكيميائية ، ثم وضع ليبغ Liebig الالماني وبوسنغلط Boussingault الفرنسي أصول الكيمياء الزراعية وكيفية اغتذاء النبات بالعناصر الغذائية ولاسيما بالاملاح المعدنية . ثم كشف باستور عن الميكروبات وعلل حدوث الاختمار . ثم فحص العلماء تركيب الاسمدة والآرية والحيوانية والنباتية ، واستنبطوا اصناف الزروع والشجر وسلالات عديدة من الحيوانات الاهلية ، واخترعوا الآلات الزراعية ، ودرسوا طبائع الحشرات والميكروبات وامراض النبات الخ الخ

وهكذا أصبحت الزراعة الحديثة قائمة على اسس العلم . ولم تبق أية صلة تذكر بين قليل ما كان يعرفه الاقدمون في شؤون الزراعة العملية وبين العلوم الزراعية الواسعة في ايامنا هذه . ويتضح من ذلك انه لا فائدة من نشر المخطوطات الزراعية القديمة ، بل في نشرها ضرر لما حوته من الخرافات والاساطير التي يتبرأ العلم منها . ولا يخطر في بال اوربي تلاوة كتاب زراعي قديم لان القرن التاسع عشر لعمه بان الزراعة قد تطورت تطوراً كبيراً في القرن الماضي وفي القرن الحاضر

وهكذا حال في الطب . فاليونان والعرب فصل كبير في هذا الباب . ولكن أين نحن الايام السابقة . من العلوم الطبية الواسعة في هذه الايام ؟ وأين تشريح الماضي من تشريح اليوم ؟ وأين المداواة بالعقاقير من المداواة بالادوية الحديثة ؟ واين الجهل بالميكروبات

من معرفة حياتها وعملها في جسم الانسان وأين وأين؟ لقد تقدمت العلوم الطبية تقدماً لا مجال معهُ للبحث عن الطب القديم ولا عن كتبهِ القديمة. والطبيب الذي يقتصر في المداواة على هذه الكتب يُسمَّى اليوم دجالاً ويعاقب بالسجن في شرائعنا وشرائع البلاد الاوربية على السواء

اما الكيمياء فقد قلت رأساً على عقب. ويكاد هذا العلم ان يكون اليوم غير الكيمياء القديمة بتاتاً. فأين تلك الاعمال التي كانوا يأتونها في التفتيش عن الذهب او بغية صنع العقاقير النباتية، من أنواع الكيمياء المعدنية والعضوية والتحليلية في العصر الحاضر. وأين الاجسام القليلة التي عرفوها أو أوجدوها، من العناصر التي كشف عنها اليوم، ومن ألوف المركبات الكيميائية التي تستعمل في الطب والزراعة والصناعات المختلفة؟

وهكذا أمر النبات. فاليونان ثم العرب قد عرفوا كثيراً من النباتات التي تنبتها الطبيعة، وحلوها تحليلة حسنة، أي وصفوا صفاتها الخارجية وصفاً في بعضهِ كثير من الدقة. ولبعض العشابين من العرب شهرة عالمية كالغافقي وابن الصوري وابن البيطار. والاطباء والعلماء المشهورين أبحاث جليلة في مفردات الادوية كالرازي وابن سينا وابن ماسة وعبد اللطيف البغدادي والبيروني والادريسي وغيرهم. وتعد مفردات ابن البيطار من أجل المؤلفات النباتية في تلك الأيام

ولكن كل ذلك لا يعد شيئاً لليوم الناس هذا. فعلماء القرون الوسطى كانوا يجهلون المجهر الذي يجلو الخلية ودقائق اعضاء النبات ونسجه، وكانوا يجهلون كيفية تغذي النبات، والمواد المعدنية التي يتغذى بها، والاعمال الكيميائية التي تحصل في حياته وفي نموه. ولهذا لم يكن لهم معرفة بالتصنيف الحديث ولا بالفسيولوجيا ولا بالتشريح الداخلي ولا بعلم حياة النبات، ولا بالاسس العلمية التي يقوم عليها علم إصلاح النسل، وكل ما عرفوه من هذه العلوم العويصة امور سطحية كانوا يشاهدونها في شكل النبات الخارجي وتجارب بسيطة كانوا يجرونها في حياته وفي خواصهِ. وكثيراً ما كان يختلط عليهم الصحيح بغير الصحيح

ولم تكن معرفة الأقدمين بعلم الحيوان تزيد على معرفتهم بعلم النبات الا فيما له اتصال وثيق بهم كالخيل والابل مثلاً فان معرفتهم بها كانت واسعة كمعرفتهم بالنخل من النبات. والدليل على ذلك الالفاظ العديدة التي نراها في معاجمنا لتلك الحيوانات، مما ليس له مثيل في اي لغةٍ ما لغات العالم على ما اعتقد. ولكن هذه المعرفة لا تتعدى الظواهر والمرئيات والملاحظات التي يلاحظها المرء في طويل اتصاله بتلك الحيوانات: اما الاسس العلمية التي يقوم عليها علم الحيوان فقد كانوا يجهلونها جهلهم لأمثالها في علم النبات. وهذه الاسس هي وليدة النهضة الاوربية الحديثة ولا نجد منها شيئاً يذكر في كتاب الحيوان للجاحظ ولا في حياة الحيوان للدميري

وعرف الأقدمون شيئاً من ابحاث علم الفيزياء (علم الطبيعة، علم الطبيعيات) كبعض

أبحاث الصوت والضوء والسائلات . ولكنهم جهلوا بعض نظرياتها الاساسية كما جهلوا بحث الكهربائية العظيم برمته . ولم يكن لديهم بعض آلات الضوء الحديثة ولا آلات الكهربائية العديدة المعروفة ولا آلات الجويات (كموازين الحرارة والجو والمطر وسرعة الرياح) الخ. وفي الحقيقة لقد تقدم علم الفيزياء تقدماً مدهشاً . ولم يبق أي اتصال يذكر بين عهد مبادئه البسيطة في القديم ، وعهد الكهربائية وتحطيم الذرة أي الجوهر الفرد في العهد الحديث

ويتضح من هذا البحث المجمل ان العلوم المتعلقة بالطب والزراعة والنبات والحيوان والطبيعة قد تقدمت في النهضة الحديثة تقدماً واسعاً جداً ، وان مؤلفات الاقدمين في هذه العلوم لا تصلح لزماننا هذا ، وان الاكتفاء بها معناه الرجوع الى القرون الوسطى أو الى القرون الاولى . ومع هذا لا تخلو هذه الكتب من فوائد . وأهم فوائدها كونها تهدي المؤلفين الى عدد لا يستهان به من الالفاظ والمصطلحات العلمية مما يجب اقتباسه واستعماله في الكتب الجديدة . ومن فوائدها كونها تحسب حلقة من حلقات تاريخ العلوم البشرية . ولهذا قد يستفيد العالم من تلاوتها اذ يقايس بين محتوياتها ومحتويات الكتب العصرية . ولكن الطلاب والمتأدبين لا يجوز ان يضيعوا وقتهم بقراءتها ، فان فائدتهم منها لا تذكر اذا قيست بالفوائد التي يجنونها من تلاوة الكتب الحديثة

﴿ كتب الفلسفة والاجتماع ﴾ ضلّ من ظن ان العقل البشري قد تقدم في أبحاث ما وراء الطبيعة خطوة واحدة منذ أيام ارسطو حتى يومنا هذا . فنحن ما زلنا نجهل حقائق هذا الكون العجيب ، وما برحنا نتخبط في تلمس أسراره وفي استقصاء أحاجيه . ولم تتبدل تلك الاسئلة التي يتساءل الانسان عنها وهي : هل للكون حدود في الفضاء أم لا . وهل له بداية أم هو أزلي . وما هي الطبيعة ، وهل هي تسير بذاتها أم هناك علة تسيّرها . وهذه العلة هل هي مادة أو عقل أو شيء لا يمكننا ادراكه . ثم ما هي منشأة الانسان ومن أين أتى والى أين يذهب . وهل العالم مخير أم مسير مجبرية لا تتزحزح . وهل أمام العالم رقي أم هو يدور أبدياً على حاله . وما الحركة العامة للكائنات ، وما الحكمة فيها . وهل القواعد الخلقية شريعة بشرية واجتماعية فحسب ، أم لها أساس في الطبيعة كلها الخ

هذه أمور ما برح عقل الانسان تائهاً في بيدائها ، وكل فيلسوف في القديم والحديث بحثها على ما يراه . ويقول العلماء بوجوب تركها لانها لا يمكن ادراكها . ولهذا وجب على رأي العلماء ، الاكتفاء بكلمة لا أدري والكف عن مناقشة ما لا يمكن بتّهُ بالوسائل العلمية . ولكن الحقائق العلمية ليست كل شيء في هذه الحياة . ولا بد لدماغ الانسان من ان يتطلع الى معرفة ما يهمه من هذا الكون ولا سيما ما يتعلق منه بمصيره

ولا شك ان فلاسفة اليوم قد ارتقت مداركهم وتصوراتهم عن قبل ، كما ارتقت العلوم

نفسها فصارت تعالج بوسائل يقينية غير الوسائل القديمة . ولكن في فلسفة اليونان وفلسفة العرب أبحاثاً طبية تصلح لزماننا هذا اصلاحها للزمان الذي ألفت فيه . ولبعض فلاسفة العرب محاكمات عقلية دقيقة تدل على عقول جبارة ، مثال ذلك تلك الأدلة الفلسفية المدققة على وجود الخالق جلَّ وعلا ، التي يراها الطالع في كتاب التهافت للغزالي وكتاب تهافت التهافت لابن رشد ، وقد طبع الكتابان طبعة جميلة في المطبعة اليسوعية ببيروت . ولا ينكر أحد أن في تلاوة كتاب الأخلاق لارسطو وكتاب جمهورية أفلاطون وكتب عديدة في التوحيد فوائد كثيرة يستفيد منها المتأدبون

واذا انتقلنا الى كتب التاريخ وجدنا أن لمؤرخي العرب فضلاً كبيراً في هذا الباب . ومن المعلومات أن التاريخ لا يشبه العلوم السائرة فالحادثة التاريخية لا تتكرر . وقلما ينقلها اثنان على وجه واحد ، لأن أثرها في شخص ما قد يختلف عن أثرها في شخص آخر . واذا لم يتح لها من يحفظها في صدره أو على القرطاس ضاعت ونسيها الناس . فالعرب كانوا من أحرص الأمم على الصدق في رواية الأخبار . وأظن أن العنعنة من خصائصهم وحدهم . وقد نشأ فيهم عدد كبير من المؤرخين الثقاة حفظوا تاريخ أمتنا في كتب نفيسة . ولا خلاف على كون هذه الكتب التي يعرفها كل أديب تحتوي احياناً على مبالغات أو على خرافات لا يسلم العقل بصحتها ولا خلاف أيضاً على كون التاريخ أصبح لهُ اليوم مآخذ وقواعد علمية راسخة كمعرفة اللغات القديمة وقراءة الآثار ومقابلة المستندات المختلفة وتمحيص محتوياتها ، ولكن كل ذلك لا يقدح في صحة زبدة الأخبار التي اشتملت عليها كتب التاريخ والتراجم العربية في العصور المختلفة . وتمكن العرب في الجغرافيا من صنع خارطات جغرافية تكاد تكون مجملاً لصور البلاد التي عرفوها . وقد اشتهر منها كرة الادريسي . ومن بدائه الأمور أن آلات المسح الحديثة لم تكن معروفة في تلك الأيام ، وانهُ لا يجوز اليوم ان نكتفي بالخارطات القديمة لما فيها من النواقص والاغلاط . ولكن من ذا الذي ينكر أن بعض الكتب الجغرافية القديمة كمعجم البلدان لياقوت الحموي مثلاً تعد خزانة ثمينة من الجغرافية والادب جميعاً ومن ذا الذي ينكر أن هذا السفر النفيس يقرؤه العربي بلذة في كل زمان وفي كل مكان . ومن الكتب القديمة ما لا تبلى جدتهُ على كر الأيام كمقدمة ابن خلدون وكتاب التاج أو أخلاق الملوك للجاحظ وأمثالها ويستنتج مما ذكر أن بعض آثار السلف في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والاخلاق تصلح للنشر وان الزمان لا يقلل قيمتها ، وأن في تلاوتها فائدة ولذة للعالم والمتعلم على السواء

﴿ الحقائق والأخيلة ﴾ كان القدماء لا يعدون المرء عالماً الاَّ اذا تناول بالبحث جميع العلوم البشرية . ولهذا كان العلماء حريصين على التأليف بعلوم مختلفة لا رابطة تربط بعضها ببعض البتة . فالجاحظ مثلاً صنف في الحيوان ، وابن سينا في الفقه والتوحيد ، والكندي

في الموسيقى ، والشيخ عبد الغني النابلسي في الزراعة الخ . أما اليوم فالذي يدعي معرفة العلوم كلها يعد جاهلاً أو مجنوناً والذي يؤلف في علوم مختلفة يخلط ويعثر فلا تروج مؤلفاته ولا يكتب لها البقاء . والعالم في هذا الزمن هو الذي يلم الماماً بأسس العلوم المهمة ثم يختص بعلم واحد أو بفرع واحد فيكب عليه سنين طوالاً ويقتله درساً ويكون له فيه أبحاث خاصة أو نظريات او مكشوفات او مخترعات

لقد اتسعت العلوم اليوم اتساعاً يحير العقول . وها كم مثالاً واحداً على ذلك وهو علم الحشرات . فالحشرات في كتب الفيزان القديمة لا يتجاوز بحثها كلها عشرين او ثلاثين صفحة نصفها أدب ونكات وخرافة ولغة . أما اليوم ففي خزانة كتبي سفر فرنسي في علم الحشرات البحة أحد اساتذتي يشتمل على ثلاثة مجلدات ، في كل منها ما لا يقل عن ٨٠٠ صفحة يضاف اليها سفر رابع في الصور والأشكال . ومع هذا يعد هذا الكتاب موجزاً في العلم المذكور لا مطولاً . وأعرف عالماً قضى عشرين سنة من عمره وهو يدرس رتبة واحدة من رتب الحشرات وهي متعددة الاجنحة . وهكذا الحال في العلوم السائرة وفروعها . فعصرنا اذن هو عصر الاختصاص

وما كانوا في القديم يقتصرون ، في الأبحاث العلمية ، على الطرائق المتبعة في هذه الأيام وكانت أبحاثهم تارة يقينية قائمة على الحس والتجارب والاستدلالات العقلية ، وطوراً غيبية تقوم على التخيلات وعمل القوى المجهولة . أما اليوم فقد ساد الأسلوب العلمي في البحث . ومعنى ذلك ان القدماء كانوا يجعلون حوادث الكون خاضعة لارادة الأصنام فالآلهة فالاله واحد فالعقل المكلمة بها المنفردة عنها ، الى ان عدل العقل البشري أخيراً عن كل ذلك ، وانصرف في العلوم عن البحث عن أصل الكائنات ومدبرها الى النظر في النواميس الطبيعية التي تسير حوادث الكون بموجبها . فالعلم اليقيني اليوم يقتصر على تناول صلة الموجودات الثابتة بعضها ببعض ، بصرف النظر عن صلتها بالانسان الذي يحس ويفكر أو صلتها بمجموع العالم ولا يهتم في العلوم اليقينية بمعرفة ماهية الصلات التي تربط الاشياء بعضها ببعض . بل يكتفي بمعرفة النتائج من المقدمات . اي معرفة الحوادث التالية من التي سبقتها وأدت الى حدوثها . والعلوم اليقينية ثابتة لأنها تفرض بادىء بدء صحة شيء ما دون الابتعاد عنه ، وتقف عند النتيجة الخاصة دون ان تتعداها . ومنذ ان اقتصر الانسان على بحث العلوم بالاسلوب العلمي المذكور أخذت العلوم تتسع وتتقدم . ولم تبدأ العلوم تتجرد من الأساليب القديمة الا منذ عهد باكون وديكارت في الفلسفة ، وكبلر وغاليليو في العلوم . ولم تصر العلوم يقينية صحيحة الا منذ القرن الماضي

أما الفلسفة فهي التطلع الى معرفة الكون بمجموعه ، ومعرفة النفس التي تدركه . وهي

ايضاً انتقاد العلم وتحديدها واتمامها بأفكار يتوخى بها تصوير وحدة الكون الحقيقية. وتتناول الفلسفة مجموع المدركات كما تتناول علاقة ذهننا بما لا يمكن ادراكه. ويوصي العلم الفلسفة بأن لا تجزم الامور في كل ما لا يمكن ادراكه ما دام العقل البشري غير قادر على بتّه. ويتضح من ذلك ان الفلسفة تقوم منطقيًا على الاستقراء، وانها تتوخى جعل الحقائق ضمن المعقولات. أما الاخيرة فليست بعلم ولا فلسفة بل هي أوهام لا تحسها ولا تعقلها

ولأضرب مثلاً يتضح به الفرق بين العلم والخيال. اذا قلت لكم ان ذوات الأزهار في النباتات تتناسل بزورها أو تتكاثر بأجزاء منها فأكون قد ذكرت لكم قاعدة علمية جامعة مانعة دلتنا عليها الصلة بين الأم والولد في تلك النباتات. وبناءً على ذلك يمكنكم ان تثبتوا كون شجرة الصنوبر مثلاً لا تتولد الاّ من بزرة صنوبر وكون شجرة التين لا تتولد الاّ من بزرة تين او من قضيب تين يقطع فيغرس وهكذا. فاذا ذكرت لكم انهُ جاء في كتاب الفلاحة النبطية الذي ترجمه ابن وحشية ان الصنوبر والتين يتولدان من نباتات أخرى أجبتم بأن هذا خيال ووهم لا يقره الحس ولا العقل. وها كم جملتي ابن وحشية (خذوا من شجرة الخرنوب الشامي من عروقها الطوال، فلفوها على قرني ثور، وانقعوها في الزيت سبعة أيام، ثم اجعلوها في الارض، واسحقوا الكندر وذروه عليها اذا غرست فانها تنبت شجر الصنوبر) و(ان خلطتم من اليروج الرطب أصلاً وفرعاً، ومثل وزنه من العسل والشمع وزرعتموه في الارض كما تزرعون سائر الاشياء، وصببتم عليه وقت زرعه من الماء ما تعلمون انهُ قد وصل اليه، ثم تركتموه ولم تزيدوه، خرج من ذلك التين الاخضر الشديد الحلاوة)

وها كم مثلاً آخر: اذا سألنا اليوم سائل بماذا يقتات الذئب، اجبناه على التو ان الذئب من فصيلة الفواحم اي من آكلات اللحوم فهو يقتات بما تشتمل عليه من عناصر غذائية معروفة. ولكن اذا قرأنا نهاية الارب في فنون الادب للنويري (ج ٩ ص ٢٧١) نجده يقول (ويقال ان الذئب اذا لم يجد ما يأكلهُ استعان بادخال القسيم في فيهِ، فيقتات بهِ) أي انهُ يكتفي بأكل الهواء. وهو مخالف لأبسط القواعد المعروفة في التغذية

والبكم مثالاً ثالثاً. يقر العلم امكان انقلاب الذكر خنثى. ولكن العلم يجعل هذا الانقلاب من الأمور الشاذة جدًّا ولاسيما في الانسان وكبار الحيوان. أما صاحب النويري فيقول (ج ٩ ص ٢٧٤) (يقال ان الضبع كالارنب تكون مرة ذكراً ومرة أنثى) أي انهُ جعل هذا الانقلاب قاعدة مطردة في الحيوانين المذكورين وهو مخالف للحقيقة

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا الفرق بين بحث الأمور بأسلوب علمي يقضي وبحثها بأسلوب خيالي وهمي. ففي العلم لا يوجد يقال.. ويقال.. واذا جزم أحد العلماء ان الروح حية بعد الممات او غير حية أجابه العالم لا أدري لان هذا الأمر لا يمكن بته بالوسائل العلمية

المعروفة . واذ نختم صاحب الخيال وتوهم أوهاماً كالتي توهمها النويري كذبة العالم على القمر وأفهمه بأنها مخالفة لحقائق العلم الثابتة

﴿ الخلاصة ﴾ لقد كان أجدادنا العرب سدنة علوم الأقدمين ووساطة نقلها الى الأوربيين ولم يكتفوا بمدارسة تلك العلوم والاحتفاظ بها طيلة القرون التي نبغت فيها أوربة سادرة في حضيض من الجهل المطبق ، بل وسعوها وأضافوا اليها اضافات مهمة تدل على ما ظهر فيهم من عقول جبارة تناولت العلوم بأساليب ووسائل علمية لا غبار عليها . ولا ينكر المنصفون من الغرب فضل العرب على الحضارة فيما أضافوه الى الطب والنبات والطبيعة والحساب والجبر والمثلثات والفلك وغيرها من العلوم . ولولا العرب لضاعت العلوم القديمة بجملتها ولتأخرت النهضة الحديثة سنين طوالا لا يعلم الا الله مقدارها

ولست ابتغي بهذه العجالة تعداد مآثر علماء العرب وبيان أبحاثهم الفذة التي سبقوا غيرهم اليها في مختلف المعارف البشرية ، فان ذلك يستغرق بضع محاضرات . ولكني ارى ضرورة التنبيه الى ان آثار الاجداد العقلية بعضها يصلح لكل زمان كالامهات من كتب الأدب والفلسفة والدين والرياضيات والتاريخ والجغرافيا وبعضها لا بد من الرجوع اليه ريثما نضع ما هو أصلح منه ككتب اللغة اي المعاجم . وبعضها لم يبق صالحاً او كافياً لايامنا هذه ككتب الطب والكيمياء والطبيعة والزراعة والنبات والحيوان

ونحن والاوربيون سواسية في هذا الصدد . فالانكليز مثلاً ما برحوا يطبعون كتب شكسبير الأدبية . وما برح الفرنسيون يقبلون على مدارسة روايات راسين وموليير . ولكنه لا يجول في خلد أحد من الطابعين في الكثرة لو في فرنسة ان ينشر كتباً ألفت في عهد فحول الأدباء في الطب والزراعة والطبيعة والكيمياء والتوليد . واذا نشروا كتباً كهذه فانما يقصدون بذلك اطلاع القراء على حلقة من حلقات تقدم العلوم المذكورة لا بغية جعل الجمهور يستفيد من موضوعاتها العلمية لأن هذه الموضوعات قد تبدلت تبدلاً كلياً بدءاً من اوائل القرن الماضي على الأخص

ولا يجوز لنا ان نكتفي بما عرفه الأجداد من تلك العلوم ، بل يجب ان نطلع على ما ولدته قرائح الاوربيين من العلوم والمخترعات الحديثة ، وان نقتبس منها ما فيه صلاحنا مادياً وأدبياً . والوصول الى هذه الغاية ينبغي لنا ان نتعلم أساليب التفكير العلمي والبحث العلمي أي ان نزن جميع الامور بموازينها الصحيحة . ومتى سرنا على هذه الطريق القويمة نجد ونشاط نكون قد ساهمنا فعلاً في تقدم العقل البشري على حين ان أجدادنا قد ساهموا فيه كثيراً . وكيف يرضى بأن نعد مقصرين في حلبة المدنية الحاضرة وأجدادنا كانوا سابقين في مدنية تلك الايام فلنعمل بأساليب العصر الحديث مثلما عملوا بأساليبهم ولنعلم بنو انما كانت الحياة الا للشعوب الجادة العاملة

الغاز الحربي

صفاته وخواصه واستعماله (١)

— ١ —

في جدول المواد البسيطة التي يعرفها الكيميائي مئات من المركبات ، ولكن ما يصلح منها للاستعمال في الحرب ، يعد على أصابع اليدين . إلا أن العوام من الناس بوجه عام يستنكرون هذا القول ، لان الراسخ في أذهانهم مما تنشره بعض الصحف غير العلمية ، ان في مخزونات الوزارات الحربية المختلفة ، وصفات متنوعة ، لغازات وسوائل فتاكة ، يخرجها القواد عندما يستشعرون دنو الحرب ، ويركبونها في المصانع ليستعملوها في الميدان

ولكن السواد على خطإ في اعتقادهم هذا إذ ليس بالأمر اليسير ، اضافة مادة كيميائية جديدة الى المواد الصالحة للاستعمال في الحرب . وليست الصعوبة في استنباط المواد ، بل في اجتماع جميع الصفات والخواص التي تجعلها صالحة للحرب . فالمادة الكيميائية الحربية يجب ألا تكون سامة فقط ، او مهيجة للاغشية ، إذا كانت منتشرة انتشاراً يسيراً في الهواء . بل يجب ان تتصف بخواص كيميائية وطبيعية معينة ، وان تكون مما يسهل صنعه ونقله بنفقة يسيرة . فالبحث عن مادة كيميائية تجمع هذه المزايا ليس كبير . والعثور عليها يكاد يكون متعذراً . فالمادة الكيميائية الحربية المثلى لم توجد بعد ، وقد لا توجد مطلقاً

في السنوات الأربع التي انقضت بين أول هجوم استعملت فيه الغازات الحربية سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٩ عندما عادت معامل البحث العلمي الحربي الى حالتها في إبان السلام ، بحث العلماء في ٣٠٠٠ مادة كيميائية بغية التثبت من صلاحها للاستعمال في الحرب او عدمه . فظهر ان ثلاثين مادة منها فقط تصلح لذلك ، وان عشر مواد او خمس عشرة مادة فقط يمكن استعمالها استعمالاً واسع النطاق . وقد كان العلماء الذين أقبلوا على هذه الناحية من البحث ، من أكبر علماء الكيمياء في العالم . وكانت الرغبة في انتصار الأمم التي ينتمون اليها تحثهم وتدفعهم الى الابداع ولم تتوقف مباحثهم عند عقد الهدنة وابرام معاهدات السلام ، بل مضوا فيها ، وعلى الرغم مما اشارت اليه الصحف من استنباط الغاز الحربي الكامل ، ليس ثمة ما يدل على أن هناك

(١) عن مجلة السينتفك أمريكان .

ما يؤيد هذا القول . وقد دار البحث في هذه الأقوال ، على أن الغازات التي اشارت اليها الصحف ، كانت مما تناوله البحث قبلاً ، فأهمل ، لأنه لا يتصف بالصفات والخواص الأساسية التي يجب أن تتوافر في كل مادة كيميائية حربية

وقبل أن نصف ما يجب أن تمتاز به المواد الكيميائية الحربية ، لابدَّ من كلمة نقولها في طبيعة الغاز الحربي

فأولاً من الخطأ تسمية هذه الطائفة من المواد « بالغازات السامة » والاكتفاء بذلك

— ٢ —

ان معظم المواد الكيميائية المستعملة في الحرب ، سوائل أو جوامد في حالتها العادية . وهي تبث في الهواء بوسائل مختلفة . فوضع بعضها في قنابل تنفجر فتنتشر الجامد أو السائل دقائق او قطيرات في الهواء . وبعض الجوامد منها يصعَّد بالحرارة فينتشر بخاراً لطيفاً . وبعضها يحمل في الطائرات ثم يلقى منها فيقع فوق الارض في قطيرات أو ضباب لطيف . وأغلب هذه المواد التي تلقى من الطائرات سوائل ، وانما يمكن ذر الجوامد المسحوقة بالطريقة نفسها . أما ما كان طيَّاراً منها ، فيوضع في الغالب في أنابيب او اسطوانات ، تخرج منها عند فتح صمام خاص فتتكون من أبخرتها غيوم تحملها الريح . وسواء دعونا هذه المواد جميعاً بالغازات السامة او الغازات الحربية او المواد الكيميائية الحربية ، فهي جميعاً مواد تؤثر بتفاعلها الطبيعي السوي ، تأثيراً ضاراً في الجسم ، وتحدث حجاباً كثيفاً من الدخان ، او حريقاً يدمر مواد الحرب خاصة

ومن الواضح اذاً اذا وجب البحث عن مادة كيميائية للاستعمال في الحرب ، وجب ان تكون مفيدة من الناحية العسكرية . بل ويجب ان تؤدي هذه الفائدة العسكرية ، على وجه أوفى مما تؤديه مادة أخرى معروفة او سلاح آخر متداول . ولذلك تقسم المواد الكيميائية الحربية أقساماً على أساس فائدتها العسكرية . فقد يستعمل بعضها للفتك بالأعداء ، أو لعرقلة أعمالهم ، أو لخجب الجيش الذي يستعملها عن عدوه ، أو لاحداث حرائق ولكن هذا التقسيم ليس فاصلاً ، لان بعضها قد يستعمل لتحقيق اكثر من غرض واحد من هذه الاغراض . فالمواد التي تستعمل للفتك بالأعداء غرضها احداث الوفاة في من تصيبه ، او شلّه وتحتيم نقله الى المستشفى . والمواد التي تستعمل للعرقلة غرضها اضعاف الجيش بالزامه ان يلبس الكمامات الواقية . والمواد المستعملة للحجب ، غرضها الحيلولة دون تمكين العدوّ من مراقبة حركات خصمه وإحكام القتال عليه

وهناك تقسيم آخر للمواد الكيميائية الحربية أساسهُ فعلها الفسيولوجي في الجسم .

فمهيجات الرئة تؤثر في جهاز التنفس والفوسجين أهمها وأشدّها فعلاً . ومهيجات الجلد تؤثر في الجلد وتنشىء فيه نفاطات وأهمها غاز الخردل ، بل أنها تؤثر في أغشية العين و جهاز التنفس كذلك . وهناك الغازات المدرّة للدمع وهي تهيج أغشية العين وتضعف البصر وأهمها (الكلورو اسيتوفينون) . وهناك مهيجات أغشية الانف فتحدث العطاس الشديد والدوار والضعف الذهني . وأهمها غاز (الداينفنيل كلوروآرسين) . وأخيراً نجد المواد التي تسمّ الاعصاب وتشلها وأهمها الغاز الايدروسيانيك فهو يؤثر تأثيراً مباشراً في الجهاز العصبي ويليه غاز أول إكسيد الكربون فانهُ يؤثر في الدم ويحول بينه وبين نقل الاكسجين الى نسج الجسم

إلاّ ان البحث لم يسفر حتى الآن[1] عن وسيلة عملية تمكن الجيوش من استعمال الغاز الذي يسمّ الجهاز العصبي ، او يؤثر في الدم . نعم ان غاز أول إكسيد الكربون الذي ينولد عند انفجار القنابل الشديدة التفرقع يقتل بكثيرين ولكننا لا نستطيع ان نحسب هؤلاء القتلى ضمن الحرب الكيميائية

ويختلف الغاز الحربي عن القنابل في ان القنابل تنطلق في خطوط منحنية معروفة فاذا أصابت شظاياها أحداً في نطاق فعلها وهو ضيق ، قتلتهُ والاّ فانها تضيع سدى حالة ان الغاز الحربي ينتشر في الهواء ويتغلغل أحياناً في المنخفضات فيمتد فعله فوق مساحات كبيرة من الارض

والغازات أنواع من حيث استمرار فعلها بعد انطلاقها من اسطواناتها . فالغاز الذي يتبدّد فعله بعد بقائه في الجو عشر دقائق عندما تكون سرعة الريح عادية ، يقال انهُ غاز غير مستمرّ الفعل Non-persistent والغاز الذي يستمر فعله بضع ساعات بعد انطلاقه يعرف باسم الغاز المستمرّ الفعل Persistent . فغاز الفوسجين مثال على النوع الاول لانهُ عند انطلاقه يتبخر ويتبدد مع الرياح . أما غاز الخردل فغاز مستمر فيبقى فعله بعد انطلاقه ساعات او أياماً . فهذه الصفة ، من الصفات التي يحسب لها حساب كبير عند البحث عن مادة كيميائية حربية

يتضح مما تقدم ان البحث عن الغاز الحربي الامثل محدود باعتبارات عسكرية وفسيولوجية وطبيعية وكيميائية . ثم يضاف اليها جميعاً الاعتبارات الاقتصادية . لانهُ من العبث استنباط غاز يكلف صنعه نفقة كبيرة ترهق الدولة التي تصنعه وتستعمله . واذن فلابدّ من البحث عن

(١) كتب هذا المقال قبل نشوب الحرب العالمية الثانية

غاز وسط ، يجمع كل ما يمكن جمعه في الغاز الحربي من الصفات اللازمة ، لان الغاز الحربي الأمثل متعذر فعلاً

— ٣ —

في المقام الاول يجب ان يكون هذا الغاز فعّالاً اذا وجدت مقادير قليلة منهُ منتشرة في مقادير كبيرة من الهواء . والمقادير القليلة هنا تعني وجود أجزاء يسيرة من الغاز الحربي في ملايين الاجزاء من الهواء . لانهُ اذا كان الغاز غير فعّال عند ما توجد منهُ هذه المقادير الصغيرة في الهواء فهو لا يصلح من الوجهة العسكرية . اذ لا يمكن ان عدد الاسطوانات المحتوية على الغاز التي يمكن نقلها الى صفوف الجيش الامامية محدود . فالارطال القليلة التي تُطلق منها يجب ان تكون فعّالة في تحقيق الغرض العسكري منها وهو القتل بالعدو او عرقلة اعماله

ويرى الدكتور رودلف هانسليان الثقة الالماني في موضوع الحرب الكيميائية أن الفوسجين يحدث تهيجاً شديداً في اعضاء التنفس والعيون اذا وجد منهُ أربعة أجزاء من مائة جزء من الاوقية (٤ . ر من الاوقية) في الف قدم مكعبة من الهواء ، اي اذا وجد منهُ اوقية في أربعمائة الف قدم مكعبة من الهواء بل اذا وجد منهُ في الهواء مقادير اقل من المقادير المتقدمة ، واستنشقهُ الانسان بضع دقائق متوالية ، فقد يفضي استنشاقهُ الى تسمّم مميت

أما الغاز المدمّع فيفعل فعلهُ اذا كانت مقاديره في الهواء اقل مما تقدم . ويقول الدكتور هانسليان ان وجود ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف جزء من الاوقية (٠٠٠٣ ر) في الف قدم مكعبة من الهواء كاف لتهييج اغشية العين واستدرار دموعها ، وان هذه الغازات مركب يدعى (بروميور لسايد) يؤثر في العين تأثيراً أليماً جداً بعد التعرض له ثلاث دقائق ولو كان المقدار المنتشر منهُ في الهواء ٠٠٠٨ ر من الاوقية في ١٠٠٠ قدم مكعبة من الهواء . ولتقريب هذا المعنى الى القارىء ، نقول : تصوّر انك أخذت اوقية (Ounce) من هذا الغاز وقسّمتها عشرة آلاف جزء ثم اخذت ثمانية اجزاء منها ووضعتها في صندوق من الهواء طوله عشر اقدام وعلوه عشر اقدام وعمقهُ عشر اقدام (أي غرفة متوسطة) ووقفت فيه ثلاث دقائق فقط فعندئذٍ تشعر في عينيك بألم لا يطاق . وهذا النوع من الغاز لا يميت ، ولكن انتشاره يضطرُّ الجندي الى لبس كمامته الواقية في الحال ، ولبسها يعرقل عمله ويضعف كفاءته العسكرية ، فاذا كانت الخطة العسكرية تقتضي عرقلة اعمال العدو وتأخيرها فقنبلة واحدة من هذا الغاز تكفي

وغاز الخردل كذلك فتّاك شديد الفتك . فالجرعة القاتلة منهُ تختلف من ٠٠٦ ر الى ٢ ر

من الاوقية في انف قدم مكعبة من الهواء . وذلك يتوقف على مدة تعرض المرء لاستنشاقه . ولكن وجود جزء من الغاز في اربعة عشر مليون جزء من الهواء يكفي لتهييج الغشية العين . ويمكن استرواحه اذ وجد جزء منه في عشرة ملايين جزء من الهواء . ومع ذلك احترق بعض الذين جلسوا على ارض لصقت بها آثار من هذا الغاز من دون ان تشمّ رائحتها ، اي ان مقداره كان اقل من جزء في عشرة ملايين جزء من الهواء الملاصق للارض . فمقدار تركيز الغاز في الهواء عامل واحد في قياس فعل الغاز ، والعامل الثاني هو مدى التعرض له

والصفة الثانية التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربيّ الامثل ، صعوبة الوقاية منهُ اي انهُ يجب ان يخترق الوسائل التي يستعملها العدوّ للوقاية منهُ او اضعف فعلها على الاقل . ولا يخفى أن جميع الدول قد صنعت وسائل متقنة للوقاية من الغازات الحربية . فاذا كان الغاز الحربيُّ عاجزاً عن التغلب عليها فقد كل قيمته الاّ اذا اطلق على العدوّ على غرة منهُ اي عند ما يكون الجنود غير لابسين الكمامات الواقية وهذا غير كبير الاحتمال لان الجنود يمرنون تمريناً دقيقاً على استعمال الكمامات بسرعة . نعم ان استعمال الكمامات يعرقل الجندي المكمَّم ، ولكن ذلك ليس كل ما يُبتغى من استعمال الغازات الحربية

فالغاز الحربيُّ الامثل لا يكتفي فيهِ بحمل جنود الاعداء على التكمُّم ، بل يجب ان يؤثر في اجزاء الجسم المختلفة اي يجب ان يهيج الاغشية في الرئتين والعينين والانف والجلد لان تغطية الجسم كله من الرأس الى الخصر القدم ليس بالأمر السهل . وغاز الخردل يتصف من هذه الناحية بهذه الصفات . فالوقاية منهُ تقتضي ان يرتدي الجنديُّ رداءً مصنوعاً من قماش لا يخترقهُ الغاز ، وهذا الرداء اذا غطى الجسم تغطية تامة أرهق لبسه الجنديُّ وجعل القتال وهو مرتديه متعذراً أكثر من بضع دقائق

واذا كان الغاز الامثل لا يؤثر في جميع أجزاء الجسم فيجب ان يكون مما يخترق الكمامات . ولكي يتصف بهذه الصفة يجب ان يكون غازاً لا يتفاعل مع غيره من المواد ولا تمتصه المواد التي ترضع في الكمامات للوقاية من الغاز ، ولا يحجبهُ ذلك الجزء من الكمامات المعروف بالمصفاة والغرض منها منع الدقائق الجامدة والسائلة من الوصول الى جهاز التنفس

فالكلور وهو من اشدّ الغازات فتكاً ، لا يصلح من هذا القبيل لانهُ شديد التفاعل مع غيره من المواد . فالوقاية منهُ من أسهل ما يكون . ان قطعة من القماش مغموسة بالصودا اذا وضعت على الانف تمنعهُ من الوصول الى الرئتين . ويقابل هذا غاز يعرف باسم

كلوروبكرين ، وهو من الغازات التي تصعب جدًّا الوقاية منها

والصفة الثالثة التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربي هي سهولة صنعه . فقد يقوم الكيميائي بصنع غاز متصف بجميع الصفات الكيميائية والفسيولوجية في المعمل ، ولكن اذا كان صنعه صعبًا او يقتضي نفقة كبيرة فلا فائدة كبيرة منه . فقد قلنا ان قليلاً من الغاز الحربي الكافي يجب ان يكون كافيًا للفتك بجندي من جنود العدو او شله عن العمل ، ولكن الخطط العسكرية ، قد تقتضي احيانًا استعمال طن منه للاستيثاق من وصول هذا المقدار القليل الى العدو

فقد وصف اصحاب الخيال من الكتَّاب بضع طائرات مجهزة بقنابل من الغاز في مكنتها ان تطير فوق مدن كبيرة فتبيد الحياة منها بما تلقيه عليها من الجو . وهذا غلوٌّ . نعم ان طائرة تستطيع ان تحمل من الغاز الخانق ما يكفي لابادة سكان مدينة آهلة ، ولكن هذا لا يتحقق الاَّ اذا وصل كل جزيء من جزيئات هذا الغاز الى سكان تلك المدينة . فالاصل في فعل الغاز وصوله الى من اطلق عليهم . وهذا قد يقتضي اطلاق مقادير كبيرة منه قبل الفوز بما يرام

واذن كائنًا فعلُ الغاز ما كان ، فلا بد من تجهيز مقادير كبيرة منه . وكون العالم يستطيع ان يجهز بضع اوقيات منه في معمل البحث لا يعني ان المهندس الكيميائي يستطيع ان يصنع منهُ الوفاً من الاطنان . فالانتقال من الانتاج العلمي الى الانتاج العملي التجاري ، عمل قلما يكون سهلاً

ثم ان الغاز الحربي الكامل يجب ان يكون رخيصاً . وهذا الشرط ينطبق بوجه عام على جميع الذخائر الحربية . فاذا كانت المتفجرات او المواد الكيميائية غالية الثمن وجب البحث عن غيرها مما هو ارخص منها ليحل محلها . فالمال عصب الحرب ، أو هو احد اعصابه الرئيسية وقد تسخو الحكومات عند اشتداد الازمة حيث كانت تحرص ، ولكن الانفاق له حدود ، لا تستطيع اية حكومة ان تتعداها . فاذا كان لدى حكومةٍ ما مادتان حربيتان قريبة احداهما من الاخرى في الفعل ، وكانت اقلهما فعلاً ارخصهما ثمناً ، فالغالب ان الحكومة تؤثر الرخيصة على الغالية . فغاز الخردل الكامل لا يكون كبير القيمة اذا كان غالياً . ولعلَّ هذا العامل دون غيره شأنًا الآن ، بعد ما ارصدت الوف الملايين من الجنيهات للحرب الكلية

والصفة الرابعة التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربي الكامل هي ان يكون صنعه ممكناً من مواد خام تكثر في البلاد التي يصنع فيها ، فلا تحتاج في صنعه الى استيراد مواد من الخارج قد ينقطع ورودها في اثناء الحرب . بل يجب ان تكون هذه المواد الخام ، مما

لايكثر الطلب عليه في صناعة التخبرة الحربية بوجه عام ، اذ لا تقتضي كثرة الطلب الى غلائها فغلاء الغاز الحربي الذي يصنع منها . فالكلورين مثلاً صعب عليها بعض الشيء في خلال الحرب العالمية الاولى الحصول على عنصر البروم لصناعة الغاز المبر للدموع لذلك استنبط رجالها مركباً آخر يدخل اليود في تركيبه وهو المركب المعروف باسم « اثيل يودو اسيتات » . ولكن بعد الحرب استنبطت وسائل جديدة لاستخراج عنصر البروم من ماء البحر

ويجب ان يكون نقله سهلاً . فمشكلة النقل في اثناء الحرب مشكلة كبيرة وكل ما يعترضها ويجعل النقل صعباً يضيف الى متاعب القواد . بل يجب كذلك ان يكون نقله غير محفوف بالخطر . فكل مادة يصعب حصرها في انابيب او اسطوانات ، أو تأكل الاسطوانات التي توضع فيها بتفاعلها الكيميائي معها ، غير مرغوب فيها بوجه عام . فمادة «البرومبنزلسيانيد» تأكل الصلب والحديد وتفقد فعلها الفسيولوجي ، ولذلك يتعذر وضعها في التنابل او الاسطوانات العادية كغاز الخردل ، بل يجب ان توضع في اسطوانات من زجاجات او اسطوانات معدنية مطلية من الداخل بالميناء . وهذه أمور تضيف الى نفقة صنع الغاز ، وتزيد ثقل الادوات التي تحتويه

ويجب ان يكون مستقر التركيب اذ لا فائدة من غاز تصنعه وتضعه في اسطوانات ثم اذا انقضت عليه ايام او أسابيع تحلل الى مواد لا تضر احداً اذا اطلقت عليه . ولا يخفى ان كل جيش من الجيوش ، يحتاج الى العتاد الحربي عند بدء الحرب ، أي ان عدة من المواد الحربية الكيميائية ، يجب ان تكون مجهزة قبل بدء الحرب . فاذا كانت من المواد غير المستقرة التركيب ، كان لا فائدة منها على الاطلاق ، وكان كل مال ينفق على صنعها واعدادها مالاً مضاعاً . وأفضل مثل على ذلك «سيانيد الايدروجين» . فهو يتصف بصفات تجعله غازاً حربياً فعالاً ولكنه غير مستقر التركيب . وغاز الخردل يفوقه في هذه الناحية وقد شوهدت اسطوانات مليئة بغاز الخردل سنة ١٩١٩ وفتحت سنة ١٩٣٥ فاذا الغاز الذي فيها لم يطرأ على تركيبه تغيير ما

وأخيراً يجب ان يكون الغاز الحربي الكامل مما يصعب تنبه اي يجب ان يكون لا لون له ولا رائحة ولا طعم . ولا يعرف الا غاز واحد متصف بهذه الصفات وهو غاز أول أكسيد الكربون . ولكن هذا الغاز لا يتصف بجميع الصفات الاخرى . وغاز الخردل يفوقه من هذه الناحية كذلك كما يفوق معظم الغازات الحربية من نوح اخرى . فغاز الخردل في حالته البخارية لا لون له . ومع انه قوي الرائحة . الا انه بعد استنشاقه دقيقة من الزمان يشل عصب الشم

الهيكسوس

عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

للدكتور باهور لبيب

يذهب عصر الهيكسوس الذي قال عنهُ الاستاذ بريستد في كتابه عن تاريخ مصر ما ترجمته : « إن هؤلاء القوم لم يتركوا بعدهم في مصر إلاّ آثاراً يسيرة يصعب على الأثريين الاستدلال بها على شيء حتى على الوطن الأصلي لهؤلاء الغزاة ومدة حكمهم وكيفية سيادتهم »

على أنهُ بالرغم من هذا الظلام فقد تحدثنا في المقال السابق الذي تفضّل المقتطف بطبعه في جزء فبراير ١٩٤٢ عن أصل الهيكسوس وموطنهم الاول فأمكننا جلاء الغامض على قدر الجهد في هذه الناحية ونستطيع ان نكشف اليوم من هذا العصر أيضاً ، عن ناحية عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

يحدثنا مانيتون « ان الهيكسوس اختاروا بلدة هوارس عاصمة لهم وان الباعث على تسميتها بهذا الاسم يرجع الى أسباب دينية » فعندما نقارن هذا بما حدثتنا به الآثار نجد انهُ في الوقت الذي كان يحكم فيهِ ملوك طيبة في الجنوب اتخذ الهيكسوس لهم في الشمال بلدة تدعى « حات وعرت » (هوارس) عاصمة لهم ونرى أنها في الأصل الهيروغليفي تكتب بصورة القدم . وهذه الكتابة تعطينا فكرة عن سبب رواية مانيتون من ان تسميتها راجعة الى أسباب دينية

ويصح ان مانيتون عند ذكرهذا جالت بفكره قصة أوزوريس . والمعروف ان أهم شيء في هذه القصة هو ان أجزاء جسم أوزوريس قطعت بواسطة الاله ست ويصح لن يكون عضو من جسمه وهو القدم قد إستقر في هوارس (حات وعرت) وبذلك يكون معنى الاسم بلدة معبد قدم أوزوريس . ومن جهة أخرى نرى ان كلمة « وعرت » تعني « قدم » وهذا المعنى وصل الينا أيضاً في اللغة القبطية (المصرية) مما يجعلنا نقول ان التسمية من الوجهة الدينية جائزة

وقد وصل الينا اسم هذه العاصمة في عصور متأخرة عن عصر الهيكسوس كما في بردية سالييه الأولى مثلاً ، مكتوباً في صورة اخرى غير صورة القدم وهي صورة رجلين أيضاً الى جانب القدم . فمن الجائز جداً ان المصريين بعد طرد الهيكسوس رسموا اسم المدينة بهذا الشكل للدلالة على خروج الهيكسوس منها . إذ ان معنى هذا الرسم الجديد هو مكان الهروب

وذكرنا نص الملكة حتشبسوت في معبد بالقرب من بلدة القوصية أنها أصلحت التلف وأكملت الناقص بعدما كانت البلاد تئن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة حات وعرت (هوارس) في الدلتا . فنستوثق من هذا النص ان عاصمة الهيكسوس حات وعرت في الدلتا . ولا بدَّ لنا من تحديد موقعها على وجه الدقة . لدينا لوحة حجرية لأحد الموظفين عاش في ادفو يخبرنا فيها : « انه سافر شمالاً حتى بلدة حات وعرت (هوارس) وجنوباً الى كوش » . وهذا النص يرينا ان الموظف سافر الى أقصى الشمال في الدلتا بالقياس الى كوش الواقعة في أقصى الجنوب

ولدينا رسم لاسم المدينة يدل على انها واقعة على الساحل فهي إذن تقع في شمال الدلتا بالقرب من الساحل

بعد ذلك لدينا رسم آخر لاسم المدينة يدل على أن شطراً منها يطل على طريق صحراوي

وأخيراً بطريق مقارنتها مع بلدة اخرى تدعى « حات وعرت امنتت » اي حات وعرت الغربية » نعلم ان الاولى (عاصمة الهيكسوس) لا بد ان تكون في الجهة الشرقية . فهي تقع إذن في الشمال الشرقي من الدلتا على الحدود الصحراوية وعلى البحر

وقد اختلف العلماء كما هو معروف في تحديد موقع عاصمة الهيكسوس . غير أن Gardiner [1] توصل الى نتيجة يمكن الاطمئنان اليها معتمداً على عوامل متعددة . والعوامل التي بلغت به اليها يمكن تلخيصها فيما يلي :—

(أولاً) المكتشفات التي قام بها الاثري Montet [2] في بلدة تانس

---

(1) A. Gardiner, Tanis and Pi-Ramesse, A Retractation, Ann. Eg. Arch. XIX p. 122 ff.

(2) P. Montet, Les Nouvelles Fouilles de Tanis; P. Monter, Les Dieux de Rameses — aimé — d'Amon à Tanis (in Studies Presented to Griffith) p. 406 ff.

(ثانياً) ثم تحليل Sethe [٣] للوحة حجرية مؤرخة في السنة الأربعمائة من تجديد عبادة الإله ست

وعلى ذكر ما تقدّم نقول إنهُ الى عهد قريب كان الرأي السائد بين العلماء هو ان عبادة الاله « ست » لم تأت إلى شمال شرقي الدلتا إلاّ أيام حكم الهيكسوس . والحقيقة أنها أتت الى هذه الجهة قبل ذلك بدليل النص الوارد في مقبرة « بحر نمر » الذي اثبتهُ الاستاذ يونكر في مقالة عام ١٩٣٩ كالآتي : —

« كاهن الاله ست قائد الغاربين الذي في بلدته سزرت » والذي علّق عليهِ بقولهِ « سزرت هذه هي المنطقة التي تقع شمال شرقي الدلتا » فاذا كان تاريخ هذا النص هو الأسرة الرابعة فمعنى هذا أن عبادة الإله ست ترجع الى الدولة القديمة اي إلى ما قبل دخول الهيكسوس في تلك الجهة . وهذا يفسر لماذا كان جد ملوك الرعامسة وبعض ملوك قدماء المصريين يعبد الاله ست إله تلك الجهة

(ثالثاً) تحليل نصوص مصرية أخرى ونصوص يونانية

(رابعاً) مقارنة تبيّن أن الآلهة التي عبدت في « ر — رعمسيس » عاصمة الرعامسة هي بعينها الآلهة التي عبدت في « حات — وعرت » (هوارس) عاصمة الهيكسوس وعلى رأس هذه الآلهة الاله « ست »

***

وقد أسفرت هذه الأبحاث عن ان عاصمة الهيكسوس هي تلك البلدة التي اختارها فيما بعد الرعامسة عاصمةً لملكهم وسموها « ر — رعمسيس » وكانت تسمى لدى الهيكسوس « حات وعرت » (هوارس) ثم أطلق عليها اليونان اسم « تانيس » ثم اطلق عليها العرب الاسم الحالي « صان الحجر » الكائنة في شمال الدلتا الشرقي [٤] حيث وجدت اخيراً آثار الملك شيشنق . ونحن نلاحظ ان مدينة هوارس (حات وعرت) التي اتخذها الهيكسوس عاصمة لهم لم تنشأ من العدم وانما قامت على أنقاض بلدة صغيرة كانت معروفة من قبل . وكانت الحكمة من جعلها قريبة من الحدود الشرقية للدلتا هي ان تكون قريبة من بلادهم الأصلية ليسهل عليهم العودة الى وطنهم الأصلي في وقت الحاجة أي بعبارة أخرى لأسباب جغرافية سياسية

(٣) Sethe, Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis

(٤) Pahor Labib. Die Herrschaft dir Hykses in Aegyptin, p. 20 ff

مدة حكم الهيكسوس

اختلف العلماء القدماء منهم والمحدثون في تقدير مدة حكم الهيكسوس بمصر

فيحدثنا مانيتون عن طريق افريكانوس ان مدة حكمهم في مصر هي ٩٢٩ سنة كما يحدثنا أيضاً عن طريق يوسيفوس ان مدة حكمهم في مصر لاتبلغ إلا ٥١١ سنة وهناك فريق من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المطول الذين يتبعون توقيت مانيتون مثل P. trie يقدرون حكم الهيكسوس بمدة تقرب من خمسة قرون وربع قرن

وهناك فريق آخر من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المختصر مثل Brensted و Meyer يخالفون الرأي السابق ويعتقدون ان هذه المدة هي مائة سنة فقط .. أما Dubois Richard [٥] فيظن وهو من أصحاب التوقيت المختصر أيضاً أنها مائتا سنة

أما نحن فنرى ان مدة حكم الهيكسوس تبلغ نحو قرن ونصف قرن أي من سنة ١٧٣٠ ق.م الى سنة ١٥٨٠ ق.م [٦] وقد توصلنا الى هذه النتيجة مما يأتي : — من المستحيل الأخذ بفكرة التوقيت المطول لأنها تتعارض مع الآثار المعاصرة ومع التاريخ القاون والتاريخ الملكي وعلى هذا الأساس فان المدة التي وصلتنا عن طريق مانيتون وعن أصحاب التوقيت المطول مبالغ فيها كل المبالغة لأن كل الفترة التي ما بين آخر الأسرة الثانية عشرة وأول الأسرة الثامنة عشرة لا تتعدى مائتي سنة وسبع سنوات (من ١٧٨٧ ق.م الى ١٥٨٠ ق.م) .

وأما نظرية بريستد ومايرز في ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة سنة فقط فخاطئة وذلك لأن بردية تورين المتحف تورين تذكر لنا أن مجموع مدة حكم ست ملوك من الهيكسوس هو مائة وثماني سنوات [٧] وهؤلاء الست هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة عشرة أي أن مدة حكم أول أسرة هيكسوسية بلغ مائة وثماني سنوات فتكون أسرة واحدة من الهيكسوس حكمت وحدها أكثر من المدة التي قدرها بريستد وغيره من العلماء فذلك لايمكننا الاخذ بهذه النظرية . وكذلك نرى أن قول Dubois Richard مبالغ فيه أيضاً وذلك لأنه لدينا أهم مستند في هذا الموضوع يساعدنا على تحديد مبدأ دخول الهيكسوس مصر وهو لوحة حجرية كبيرة وجدت في مدينة تانيس وهي من عصر الملك رمسيس الثاني وهذه اللوحة التاريخية أقامها رمسيس الثاني تخليداً وتمجيداً لذكرى والده المدعو سيتي ولجده الأكبر المدعو

(٥) Dubois—Richard, Essai sur les Gouvernements de l'Egypte, Le Caire 1941, p. 50

(٦) Pahor Labib, opp. cit. (٧) op. cit.

أيضاً سيتي وتجديداً لعبادة الاله ست . وتتحدث هذه اللوحة عن ملك اسمهُ Nubti وأوردت له اسماً ثانياً وهو « ست » القوي وأرّخت هذه اللوحة يوم ٤ مسرى من السنة الاربعمائة من حكم « نوبتي » ست القوي ولعرف أن « نوبتي » هذا هو اسم الاله «ست» وهو مشتق من المدينة التي عبد فيها هذا الاله . إذاً هذه اللوحة التاريخية تتحدث (أولاً) عن عصر يرجع إلى ما قبل سنة ٤٠٠ من تاريخ اقامة هذه اللوحة. و (ثانياً) تتحدث لوحة الاربعمائة سنة عن تمجيد وتخليد ذكرى والد الملك رمسيس الثاني المدعو سيتي والمعروف بالملك سيتي الاول . وتتحدث كذلك عن أحد اجداد رمسيس الثاني وهو جده الاكبر المدعو سيتي ايضاً . وكانت وظيفته « رئيس فرقة الاقواس » تحت حكم الملك حور محب اي حوالي سنة ١٣٣٠ ق . م[٨] ومعنى ذلك أن كلاً من والد رمسيس الثاني وجدّه تسمّى باسم الاله ست لان معنى كلمة سيتي « المنتسب الى الاله ست » . لهذا نجد أنهُ ليس بالغريب أن تتحدث اللوحة عن تجديد (وليس تأسيس كما يزعم بعض المؤرخين) عبادة الاله ست في شرق الدلتا لأن عبادتهُ وجدت قبل ذلك ولاننا نعلم أن الآلهة الذين عبدوا في عصر الهيكسوس في بلدة تانيس هم نفس الآلهة الذين عبدوا في هذه البلدة في عصر الرعامسة وعلى رأسهم الاله ست . وكذلك عرفنا ان عاصمة الهيكسوس «هوارس» هي نفس عاصمة الرعامسة «برـرمسيس» وكلاهما مكان تانيس أو صان الحجر الحالية

***

والآن بعد ان عرفنا ان الجد المقصود بهذه اللوحة هو سيتي وأنه معاصر للملك حور محب فلنضف الاربعمائة سنة الواردة في هذه اللوحة من عصر هذا الجد الذي كان معاصراً للملك حور محب الى السنة التي تولى فيها حور محب العرش وهي سنة ١٣٣٠ ق . م . فينتج لنا سنة ١٧٣٠ ق . م . وهي سنة تجديد عبادة الاله ست ومبدأ دخول الهيكسوس مصر لأن عبادة الاله ست جددت في أول عهد الهيكسوس عند ما جدد بناء العاصمة تانيس (هوارس)

فالآن بعد ان عرفنا ان سنة دخول الهيكسوس مصر هي سنة ١٧٣٠ ق . م . وان أول حكم الاسرة الثامنة عشرة هو سنة ١٥٨٠ ق . م . وهي سنة طرد الهيكسوس نهائيًا من مصر نستطيع ان نؤكد ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة وخمسون سنة

(٨) راجع مقالنا المنشور في مجلة « الفانون والاقتصاد » العدد الخامس من السنة الحادية عشرة صحيفة ٦٣٣

طائفة من السمك الذي يعيش في غور البحر. في الرواية التي يجري في الصورة
سمك كبير الحجم عجيب الصورة وبعده سمك وحشة السمك الذي حسنه كالكابيس ودونه
كالسوط، وتحته السمك بشعة المنظر. وفي وسط الصورة السمك المدرع

عجائب المخلوقات

سمك الأغوار

غرائب أسرارها وطبائعها

كثيراً ما يحجم علماء السمك عن تنسيط المعروف عن « سمك الأغوار » لاسباب متعددة في طليعتها سببان : اولاً — ان السمك غير مألوف وأسماؤه باللسان العلمي غريبة وهي غالباً مزيج من الأصول اليونانية واللاتينية وقلما تقل حروف الاسم الواحد عن ثمانية أو تسعة فيشق النطق بها على من لم يتعودها . وثانياً — ان النماذج التي تستخرج من قعر البحر قليلة بالقياس الى الأصناف الكثيرة التي تروح وتجيء في الأغوار الظلمة ، فهي لا تمثل تمثيلاً دقيقاً جميع طوائف الاحياء في أغوار البحار ولا بد ان تبقى طائفة كبيرة من « سمك الأغوار » تحيط سجف الجهل بأشكالها وتشريحها وطبائعها

ومع ذلك فإن غرابة اشكال هذا السمك (وبعضها يشاهد في الصورة المقابلة) يحفز الكتّاب الى وصفها

ليس بين هذه الاسماك صفة خارجية مشتركة الا صفة اللون، وهي اما سود أو رمادية قاتمة ، وهذا يتفق وقتام الأغوار التي تعيش فيها . ولكن أشكالها تختلف اختلافاً كبيراً . فسمكة لها عينان كرأسي دبوسين وأخرى عينان كصحفتين . وواحدة فمها مغور ككيس مفتوح وجسمها كالسوط ، وأخرى فمها صغير مستدير وجسمها متكوّر كالسلحفاة . وقد يكون جسم احداها مستطيلاً مشيقاً ولهُ زعنفة ذيلية أو عضو آخر قري يستعمل في تحريكها ، وقد تكون اخرى منكتلة ولا زعنفة ذيلية لها على الاطلاق

يرى القارىء في الصفحة المقابلة سمكة طويلة دقيقة تشبه الشريط . وهي تقطن أغوار البحار في مناطق متباعدة ، وعلى أعماق تتفاوت من مائتي قامة[1] الى ألفي قامة . واكبر سمكة

(١) تطلق عند البحارين على قياس طول قامة الانسان (محيط الجسد) تقابل fathom وطولها ست أقدام وهي مقياس معتمد في سبر أغوار البحار

صيدت من هذا الصنف ، صيدت على عمق ١٨٠٠ قامة وكان طولها ٦٥٠ ملليمتراً او نحو قدمين. ولكن هذا الطول لا يجب ان يُعَدَّ مثلاً لحجم هذا الصنف من السمك . فطبيعة السمك الذي يسكن الاغوار البحرية يجعل صيد النماذج الكبار منهُ شاقًّا او متعذراً

وهناك سمكة اخرى ترجمة اسمها العلمي كما يلي : سمكة ذات حلق كالكيس وذيل كالسوط. وهي من أغرب هذه الاسماك الغريبة . ولعلَّ أهم طرائفها يستخرج بالنظر اليها او الى اسمها — وهو التهم . ولم يُصَد منها الا خمسة نماذج وقد صيد ثلاثة منها لأن السمك كان يحاول ان يلتهم سمكاً آخر يفوقهُ حجماً اضعافاً كثيرة، فاختنق وتها وقد اخذت هذه النماذج الثلاثة على سطح البحر

اما النموذجان الآخران فصيدا على عمق ٩٠٠ قامة . واكبرها كان طول جسمه عشرين بوصة وطول ذيلهِ ثماني وخمسين بوصة !

ثم هناك سمكة اخرى مدرَّعة . ودرعها هذه من اسرار الحياة في المحيط . لأنها تجعلها كالقنفذ او أشد فعلاً في اعدائها . واذا فحصت الدرع وشوهد ما فيها من شوك ونتوءات كأنها الحجر الصلد ، تغطي جسم السمكة ، وفي كل نتوء إبر بارزة ، يميل الباحث الى القول بأن الطبيعة أبدعت ما أبدعت في هذه السمكة لتمكنها من شق حلق كل سمكة تحاول ازدرادها او بقر بطن كل سمكة تسعى اليها . وما يعرف عنها لا يشير الى أنها تسكن الأغوار السحيقة وقد لا توجد على عمق يفوق ١٢٩ قامة تحت سطح البحر . وليس في وصفها العلمي ما يشير الى حجمها ، ولكنها على المرجح صغيرة . ومن هنا ضرورة درعها الواقية ، وهي تعرف باسم « سمكة الكرة المدرعة »

وهناك سمكة أخرى اسمها « القناصة المضيئة » وفيها تشاهد الزعانف وقد نمت نموًّا عجيباً ، وفيها مع اتساعه وضخامته بالقياس الى جسم السمكة ، شكلهُ ومكانهُ سويّان . ويلوح ان شكل هذه السمكة ملائم للمطاردة . فالزعانف الصدرية والظهرية أطول من جسم السمكة نفسها وواقعة قرب الزعنفة الذيلية ، وهذا يمكنها من الحركة السريعة . ويخترق هذه الزعانف خيوط تضيء عند ما تهتاج السمكة فتبدو في شكل بهر الانظار او بهر سائر السمك . وهي تختلف عن سمكة أخرى تعرف « بالقناصة المتربصة » وهي تكاد تكون عاجزة عن السباحة ولا يزيد طولها على بوصتين وتعيش على نحو ٧٠٠ قامة تحت سطح البحر . ويلاحظ أن زعانفها صغرت وعيناها دقيقتان كرأسي دبوسين وجهاز الصيد الذي تصطاد به السمك — وهو شبيه بشص الصياد — قد نما فيها بالقياس الى ما يقابلهُ في القناصة المضيئة

يوم في خزانة

عيسى اسكندر المعلوف

بقلم الدكتور بشر فارس

هذا عالم آخر من علماء لبنان [1] خرّج التلامذة ودرّب الطلبة الى جانب التأليف والتصنيف زهاء خمسين سنة في همة تحهل القعود وبدراية واسعة . وهو أبو شفيق المعلوف صاحب ديوان « عبقر » ، أبو المرحوم فوزي صاحب « شاعر في طيارة » هذا القصيد الفريد الباقي على الزمن.

زرته في زحلة في طريقي الى دمشق أول الخريف الماضي ، ولبثت بداره يوماً أتسفح مخطوطات فيها النادر والنفيس، بعضها من قلمه والآخر من اقلام من تقدم . ولا يسعني الاّ أن أنوّه بما وقفني ، ولعلّ في ذلك متعة او فائدة لقارىء « المقتطف » . على ان للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف تواليف مطبوعة ، لا أتمهل عندها ولا أذكرها الاّ كتاباً هو « دوالي القطوف في تاريخ بني المعلوف »[2] . وقدر هذا الكتاب في عرضه لتاريخ حَوران وذكر أسرها ولا سيما الغساسنة ، وفي اشاراته الى تاريخ لبنان وفلسطين مع تدوين طائفة كبيرة من الحوادث والوقائع بجنب الشؤون العمرانية والفوائد الجغرافية ثم العادات والاخلاق

واما المخطوطات فغير قليلة . واليك التي لفتت لموضوعاتها : —

(١) — في اللغة (القصيحة والعامية)

١ — « فهرس شرح الأمثال العامية العربية » وهو يشمل أربعة عشر الف مثل تجري على ألسنة الناس في لبنان وسورية وفلسطين وما يجاورها . وميزة الكتاب ان المؤلف يرد

---

(١) انظر مقالاً في العدد السابق من المقتطف (مايو ١٩٤٢) : « التنبيه الى كتاب بريد جميع » للكتب فيليب فوزي . وهو كتاب لا يزال مخطوطاً كما أخبرتك : وفي مستدركه هذا على هذا القول : ص ٤٣٢ هامش ١ س ١ ، اقرأ : الزاي بدلاً من الواو — ص ٤٣٣ س ١٣ ، اقرأ : دوما بدلاً من روما — ص ٤٣٥ س ١٤ ، اقرأ : فتكلم على ، بدلاً من فتكلم عن — ص ٤٣٤ هامش ٢ س ٢ من تحت ، رد بعد ص ٧٦ : « كذلك طبعة شيخو، بيروت ١٩٢٣ ص ٥١ س ٢٢ — ص ٤٣٦ س ١٨ ، اقرأ : الكتاب المخطوط ، بدلاً من المكتاب — ص ١٩ : اقرأ : واكبري له ، بدلاً من اكبري — هامش ١ السطر الاخير ، اقرأ : انظر ص ٣٥ — ٤٦ و ١٧٣ — ١٨٩ خاصة ، بدلاً من ص ١١٧ — ٢٦٦ .

(٢) طبع في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧—١٩٠٨

المثل العامي عما قيل في معناه في الفصحى ، نحو ذلك هذا المثل العامي : « البرمائي بيحلّ شاشي القاضي » . ثم يلي المثلَ قول الشاعر :

فبرطل ان أوردتَ الحال يمشي لا يمشي سوى خفّ البرطل

ثم قول سليمان البستاني ناقل الالياذة ، وقد نظم معنىً للفُرس :

بعشر خيارات لقاضيك رشوة تنبت في البطيخ عشر مزارع

٢ — « معجم الالفاظ العامية والدخيلة » في سورية ولبنان وفلسطين ، مع رد اللفظ الى اصله العربي او الاعجمي من جهة الاشتقاق او التعريب ، وايراد ما وضع العرب او المؤلف نفسه للفظ ان كان اعجميًّا . ولهذا المعجم مقدمة في اللغة العامية وآدابها وفنونها

(ب) — في الأدب

١ — « شحذ القريحة في المقتطفات البليغة الفصيحة » في مجلدين . الاول في الشعر والشاعر والفنون الشعرية ، والثاني في المعاني الشعرية من السماء حتى الأرض مع ذكر العلوم والاختراعات . وفي المجلد الاول مباحث في الشعر عند الامم العربية والغربية ، ومن الفصول: طبقات الشعراء عند العرب وتحليل اشعارهم ، شعراء الاعاجم شرقاً وغرباً ، الشاعر وآدابه ، الحس والخيال والمعاني ، الموازنة بين الشعر العربي في الشرق وفي الغرب ، في فن قرض الشعر ، اكتساب ملكة النظم ، شياطين الشعر ، اختلاف خيالات الشعراء . كل ذلك مستخرج من أقوال العرب وآرائهم وأشعارهم . ثم التقليد والتجديد ، الروية والارتجال ، الذكاء والعبقرية والنبوغ ، ثم الفنون الشعرية : التشطير والتخميس والتسديس الى التعشير ، الموشح وكيف يكتب برسوم على اشكال هندسية مع امثلة مختلفة ، التاريخ الشعري الى آخرما هنالك من الاجازات والالغاز وغرائب القوافي والاشعار والاوزان ، ثم الترجمة[1] . وأما المجلد الثاني فيتضمن المعاني الشعرية مرتبة على تحدرها من السماء حتى الارض . وفيه طرائف وغرائب من الوصف

على أني وقفت في مطاوي هذا الكتاب الضخم على بعض مسائل أخشى أن تكون معروفة وأخرى أظنها مطروقة . فلعل المؤلف يطرحها عند المراجعة والتهذيب ، أو يجتزىء بالاشارة اليها

٢ — «تكملة ديوان الامام الشافعي » الذي طبع منه مختارات في القاهرة (سنة ١٣٢١هـ) .

(١) ومن ملح هذا الباب الاعجم ما نظمه الشيخ ابراهيم الحوراني (المتوفى ببيروت سنة ١٩١٦) مترجماً معنى لشاعر الروسي بوشكين :

قال لذهب اهديا ممتكي قال الفولاذ آه الذهب
قال العتيان آه الشوق قال الفولاذ آه الذهب

وقد رجع المعلوف الى مخطوطات نادرة ، في مقدمتها «مناقب الامام الشافعي» للمستقلاني[1]

٣ — « مجموع الدواوين الفقودة » : هي دواوين بحث عنها الاستاذ الجماعة مخطوطات كثيرة متفرقة في الخزانات العامة ، فجمع منها قصائد ومقطوعات لشعراء مجهولين او مهملين كأمثال :

السيد احمد البربير الدمياطي البيروتي وهو من أدباء مفتتح القرن التاسع عشر . فقد عثر له المصنف على أكثر من الفي بيت ، ومن قوله في الشيب :

خيوط الشيب قد مدّت بغودي ومدّ خيوطها قصر الحياة
أجادت غزلها أيدي الليالي لتنسجه غداً كفناً لذاتي

وملحم الشميل اللبناني ، وشقيقه امين الشميل ، والسيد عبد اللطيف فتح الله مفتي بيروت ، والشيخ راجي اليازجي شقيق الشيخ ناصيف ، ومحمود بك ابن خليل بك العظم الدمشقي ، والسيد علوان الغُرّ قاضي بيروت ، والسيد أحمد الغر مفتي بيروت ، والقس حنانيا الشير الزوقي ، والحاج حسين بيهم البيروتي . وكل هؤلاء من أدباء القرن التاسع عشر

٤ — « ذيل شعراء النصرانية » وفيه أتم المعلوف ما كان نشره الأب شيخو

٥ — « تبديد الأوجال في فن الأزجال » وهو مجموعة من الأزجال القديمة والحديثة في سورية ولبنان ومصر والعراق وسائر البلدان العربية[2]

وقد استخرج المعلوف مواد هذه المجموعة من عدة مخطوطات محفوظة في خزانته . واني أعلم ان المستشرق ليسرف Lecerf وصفها ورجع اليها في بحثه المستفيض في الأدب العامي العربي[3] . ومن مطالعي هذا البحث يتبين لك ان الاستاذ المعلوف من الأثبات في فن الزجل وأدبه وتاريخه

---

(١) سرد بروكلمن المستشرق الملامة في كتابه القيم « تاريخ الآداب العربية » (التكملة ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٣٠٤) « مناقب » أخرى للشافعي وتواليف ضمت من أقواله واشعاره . ولعل الاستاذ المعلوف يراجع هذا الفصل ، فقد يجد فيه مصادر جديدة

(٢) واليك مثلا زجلا مصرياً للسيد حسين بن أحمد الكيلاني :

يلله أعدوني بطوى يا مسعين هذا الدار مستحيل عغياب الساعتين
أعرس وما مر ندايت يا سلام هب ليلة وإياك لقاضي العشيين
قل تعني بالعشق هين عندك شيوه قلت له وهات صدوك والبرود
وخلك تلبود مع حر الحدود هدي شيوخي في حديدك ظاهرين ..

(٣) J. Lecerf, "Littérature Dialectale et Renaissance arabe moderne" Bulletin d'Etudes Orientales (Damas) année 1933, tome 3 p. 121 et suivantes « نشرة الدراسات الشرقية » (دمشق)

(ج ١ — التاريخ

١ — «مناوص الدرر في أدباء القرن التاسع عشر» في مجلد كبير يبلغ الف صفحة. ترجم فيه المؤلف لعدد وافر من الأدباء الذين اهملهم غيره او زاد على ما جاء عند غيره. والمترجمون بين عرب وافرنج، وهؤلاء ممن أقام ببلاد العربية أو ساح فيها مثل الكولونل تشرتشل بك الذي توفي في ناحية «سوق الغرب» بلبنان، وهو عم المستر تشرتشل رجل الساعة في انكلترة، ومثل رتشارد وُد Wood الذي قصد الى لبنان سنة ١٨٣١ ليخرج منه ابرهيم باشا[1]

٢ — «تاريخ آل اليازجي» في مجلدين. وقد دفعه المؤلف الى مطبعة دير المخلّص بقرب مدينة صيدا

٣ — «الاخبار المروية في تاريخ الاسر الشرقية». وهو سفر شامل «لتواريخ الاسر في لبنان وسورية وفلسطين والعراق والعجم وآسية الصغرى ومصر وبلاد العرب والمغرب وما اليها وفي المهاجر. وهذه الاسر من جميع المذاهب المسيحية والاسلامية والاسرائيلية على اختلاف طوائفها ومناشئها ومواطنها وأنسابها واسمائها أصولاً وفروعاً، ثم ذكر حوادثها وتراجم سلاطينها الخ». وقد بلغ هذا السفر حتى ٢٤ الخطى ١٩٤١ أربعة عشر مجلداً كبيراً

وأما مصادر الكتاب فبين المنقولة سماعاً والمتعقَّبة في بطون المخطوطات والمطبوعات مثل كتب الأنساب وما يأخذ اخذها من الشجرات والعناقيد، ومثل الحجج والسجلات أو صحائف الخراج والخرج والكنانيش والتذاكر والسفائن. فهو استخراج للمخبآت. والكتاب غير مرتب بعدُ على حروف المعجم كما هو شأن تواليف السمعاني والقلقشندي وغيرهما، بل هو في طور الجمع والتدوين وان كان صاحبهُ يعالجهُ منذ ثلاث واربعين سنة، فالابواب لا تزال منتوحة لقبول مواد جديدة أو متممة. ولكن ثمة مصادر كثيرة وافية يهتدي بها المطالع الى اسماء الاسر وأسامي الاماكن وعيون الناس من أهل سياسة أو أدب أو علم

وقد اخبرني المؤلف أنهُ كتب الى اعقاب تلك الاسر يسألهم عما لديهم من الأخبار فاطلعوا أو أهملوا الاّ أقلهم. ولما كتب اليهم يدعوهم الى مشاركته في اخراج الكتاب ردَّ بعضهم على هذا النحو: «أوسل الينا تاريخ اسرتنا، فان كان فيهِ لنا فائدة اشتركنا». واما سائر الاعقاب فأبوا الاّ الصمت ... هذا هو الشرق!

***

(١) وفي الانكليزية خاصة نوادر في البلاد، ثم ان للاول ثلاثة كتب مفيدة: الاول، The Druzes and the Maronites : والثاني Ten Years Residence in Lebanon والثالث للامير عبد القادر الجزائري

تلك هي المخطوطات التي من قلم الاستاذ المعلوف ؛ ولعلّ أحسنها شأناً يخرج عاجلاً . ثم إن في خزانة هذا العالم الدائب في العمل مخطوطات أحب أن أشير إلى بعض ما له شأن

١ — « مجموعة رسائل » تاريخ نسخها سنة ٦٤٤ هـ ، لكبار الكتاب مثل ابن بصاقة وابن الأثير صاحب « المثل السائر » في مراسلة الملوك وبعض هذه الرسائل في الحروب الصليبية

٢ — « مجموعة من كتب الدروز » وهي نحو ١٥ كتاباً . فيها اسرار هذه الطائفة ، وأناشيدها ، واخبار عن اعيانها ، وشؤون في معاملتها لسائر الطوائف . وطي هذه المجموعة مقالات ادبية للسيد عبدالله التنوخي الدرزي

٣ — « تاريخ نابليون الاول » لنقولا الترك اللبناني (١٧٦٣—١٨٢٨) . وفائدة هذا التاريخ انهُ يشتمل على كثير من المنشورات والرسائل الخاصة بحملة نابليون على مصر [1]

٤ — « تاريخ مصر » لخليل الخوري الشاعر (١٨٣٦ — ١٨٧٥) صاحب جريدة « حديقة الاخبار » البيروتية ، ألفه باشارة من سعيد باشا [2]

٥ — « جامع الفنون وسلوة المحزون » تأليف نجم الدين احمد بن حمدان بن شبيب الحراني الحنبلي المتوفي سنة ٦٩٥ هـ (؟) . فيه مباحث مختلفة ، فهو أشبه بدائرة معارف في الجغرافية وما اليها خاصة [3]

٦ — « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » للمرادي المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ . ومعلوم ان هذا الكتاب طبع في أربعة مجلدات (١٢٩١ و ١٣٠١هـ) . الآن ميزة نسخة

---

(١) جاء في « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » لشيخو ، بيروت ١٩٢٤ ، ج ١ ص٢٣—٢٤ : « لنقولا الترك : تاريخ الامبراطور نابليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر الى موت نابليون سنة ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة ، كتبه بانصاف وحسن ذوق مع تعريف أسباب الحوادث وسوابقها والحكم في جيدها وسيئها . وهذا الكتاب قد طبع نصفه الاول في باريس سنة ١٨٣٩ بهمة المستر ديجرنج Desgranges الذي نقله الى الفرنساوية وألحقه بعدة مخطوطات وهو يحتوي تاريخ نابليون الى آخر سنة مصر سنة ١٨٠١ ، واما النصف الثاني فلا يزال مخطوطاً » . وهذا لم يذكر شيخو في خزانة المخطوط

(٢) تجد ترجمة خليل الخوري في « مشاهير الشرق » لزيدان القاهرة ١٩١١ ج ٢ ص ١٤٠ وما يليه . وما أثبته زيدان : « ولم نقف على ذلك الكتاب (يعني « تاريخ مصر ») ولا سمعنا به قبل البحث عن ترجمة هذا الشيخ »

(٣) في « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمن ط سنة ١٨٩٨ ج ١ ص ٥١٢ و ج ٢ ص ١٣٠ ذُكر هذا الكتاب بعنوانه ونسب الى اثنين اسمهما واحد : الاول كمال وشاعر مصري توفي سنة ٦٩٥ هـ ، والثاني كان في مصر سنة ٧٣٢ هـ . وفي « تكملة » هذا التاريخ Suppl ج ١ ص ١٦١ — ١٦٢ ، استدرك بروكلمن فوقف عند الثاني ، ووصف الكتاب فقال ان فيه سرداً لعجائب مصر جمعه على نحو ما جاء في كتاب « جواهر البحور . . . » لابراهيم بن وصيف شاه . وقد أرشد بروكلمن الى الخزانات التي تحفظ هذا المخطوط ، وهي دار الكتب الوطنية بباريس والمتحف البريطاني وغيرهما . هذا وفي وسع الاستاذ المعلوف ان يراجع ما ورد في كتاب بروكلمن للتحقيق والتثبت ولا سيما انه أشار الى نسخ أخرى من هذا المخطوط . نسخة أخرى في باريس فقط

المعروف انها بخط ابي الطيب الخطيب الدمشقي تلميذ الفرادي ، وان الفرادي نفسه وقف عليها وضبطها ، ففيها فوائد وتصحيحات لا غنى عنها لمراجعة نوعها . وردت في النسخة المطبوعة

٧ — « ديوان » لعبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ في « المراسلات » . وهو غير «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق » المطبوع[1] . وفي هذه « المراسلات » فوائد كثيرة عن دمشق وغيرها من المدن الاسلامية مع ذكر اسماء العلماء والصناع وعرض شيء من شؤونهم

ثم ان هنالك مخطوطات يحسن التنويه بها لما يزينها من التراويق

١ — « كشف الهموم والكرب في شرح آلة الطرب » للشهدي . فيه صور لطيفة للآلات والعازفين ، بينها صورة جارية هارون الرشيد والكمان في يدها[2]

٢ — « كتب في الفلك » لقاضي زاده الرومي من القرن التاسع الهجري

٣ — « كتاب جر الاثقال » لهيرون الفيلسوف اليوناني (الاسكندري) ، نقله قسطا ابن لوقا البعلي[3] والمخطوط من القرن السادس عشر الميلادي

٤ — « رسالة في الشطرنج والقتال وصف العساكر بطريقة التناصيب الشطرنجية » لاحمد ابن حجلة الخلصاني المتوفى سنة ٧٧٩ هـ[4]

٥ — « حياة الحيوان » للدميري المصري . وهو مطبوع ، لا مخطوط ، طبع في فاس سنة ١٢٨٥ ، مع صور جميع الحيوانات المذكورة في الكتاب (طبعة نادرة)

***

هذا بعض ما انتهى اليَّ في ذلك اليوم الذي قضيته متصفحاً ، فاحصاً ، من حولي طرائف وضنائن ، بين يدي شيخ جليل حبس حياته على طلب العلم ونفع الناس به . فما أظنني أضعت يومي ، ومن قبل قال الحسن البصري : « الدنيا كلها ظلمة الا مجالس العلماء »

---

(١) انظر طبعاته في « معجم المطبوعات العربية ... » لسركيس ص ١٨٣٣

(٢) هذا المخطوط في دار الكتب المصرية أيضاً ، ولكن المؤلف (وهو الشهدي كما في مخطوط المطوف) غير مذكور ، ورقم المخطوط عندنا : ١ — فنون جميلة ، ونجد وصفه في « نشرة بأسماء كتب الموسيقى والغناء ومؤلفيها المحفوظة بدار الكتب » طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢ ص ٢٣ . وهذا المخطوط مأخوذ بالتصوير الشمسي عن نسخة خطية في مكتبة طوب قبو سراي بالآستانة . هذا وأردت ان أنظر في هذه النسخة المحفوظة في دار الكتب عندنا لأختبر القارىء هذا الزاويق التي تزين نسخة المطوف . ولكن هذه النسخة من المخطوطات التي جعلتها الدار في الخزائن حذراً من غارات هذه الحرب . على ان « النشرة » المذكورة تنوه بأن في النسخة تراويق

(٣) هذا المخطوط في خزانة ليدن والقاهرة أيضاً واسمه « شيل أثقال » . وقد طبع مع بحث وترجمة في المجلات الفرنسية والايطالية (راجع « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمن ، ط سنة ١٨٩٨ ج ١ ص ٣٠٤)

(٤) لم أجد ذكراً لهذا الكتاب في « تاريخ ... » بروكلمن ولا في « تكملته » . على أني لا أجزم ، وذلك ان هذا التاريخ الجامع لا يزال مفتقراً الى مصادر وافية لاسماء المؤلفين وأسامي الكتب

أسماء مصر

لناشد سيفين

لهذه البلاد أسماء عدة ومرجعها جميعاً الى ثلاث لغات وهي اللغة المصرية القديمة والسامية واليونانية . غير ان الآراء مختلفة على معانيها والسبب في وضعها . واني سأتناول في هذا المقال أشهرها محاولاً ان ألقي ضوءًا على الأصول التي اشتقت منها

أما الأسماء المصرية القديمة فكثيرة وكل منها يصف البلاد من احدى نواحيها وأشهرها ثلاثة:

الاول — « تاميري » ومعناه الارض التي يغمرها الفيضان . وعندنا لفظتان أرجح أنهما مشتقتان من هذا الاسم وهما « دميرة » وتطلق على فصل الفيضان . والا ترى «طمي» وهي تطلق على الرواسب التي تمكث في الارض من ماء الفيضان

والثاني — « تاوى » ومعناه الأرضان وبلغة العصر الحاضر الوجهان البحري والقبلي

والثالث — « خم » ويقول المرحوم العلامة أحمد باشا كمال في كتابه الحضارة القديمة ان الآراء مختلفة في معناه فمن قائل انهُ موقد او بجرة او تنور ومن قائل انهُ ربوة ذات نار مستعرة ومن قائل انهُ أسود

ولما كان الرمز المصطلح عليه في الكتابة الهيروغليفية لهذا اللفظ هو ذيل الثعلب وهو مميَّز بسواد لونه وحراشفه الناتئة الغليظة فانهُ يخلص من ذلك أن المراد بلفظة خم وصف الوادي المزروع بالسواد والتشقق تمييزاً له عن الصحارى التي على جانبيه وكانت تسمى « تاردشر » أي الارض الحمراء

أما الأسماء السامية فأقدمها الاسم العبري « ماحور » وهو مشتق من اسم مصرايم ابن حام . وسبب نشوء هذا الاسم يرجع في اعتقادي الى لبس وقع فيهِ اليهود بسبب طريقتهم الخاصة في نطق الحاء أدى بهم الى الخلط بين « خم » و « حام » أحد أولاد نوح . ذلك بأن الحاء في لسانهم وسط بين الحاء والكاف . فاذا نطقوا « خم » وقعت على الأسماع قريبة من « حام » فحسبوا ان اسمها هكذا ودعوها أرض حام ويرى مصداق هذا في المزمور الخامس بعد المائة . وقالوا لتفسير ذلك ان حام سكن هذه البلاد فدعيت باسمه . واذ وجدوا ان من أسمائها

أيضاً «تاوى» وتفسيره الأرصاز ويرادفه بلغتهم مصرايم قالوا ان مصرايم من ولد حام قد استقر في هذه البلاد وان أهلها من ذريته فكان لذلك تسميتهم باسمه. ومن هذا الاسم اشتقوا «مصور» ومنه اشتقت الأسماء الآشورية والبابلية مصير ومصري وموصور والاسم العربي مصر

أما الاسم اليوناني إيجبت فقد تضاربت الأقوال في اشتقاقه. ومن رأي العلامة بروكش انه مشتق من «حت — كا — بتاح» اسم منف عاصمة البلاد في زمن الدولة القديمة. ومعناه مكان نفس الإله بتاح. ويفسر ذلك على ما جاء في كتاب الحضارة القديمة الذي سلفت الاشارة اليه بأن الأقوام المتوحشين من ملاحي البحر المتوسط كانوا يفدون الى مصر ويسمعون من أهلها اسم عاصمتهم لكونها كانت أكبر مدن مصر وأهمها وأغناها وتعود محرفاً الى بلادهم وعن بلادهم انتقل الى سائر بلاد اوربا. ولست أرى هذا الرأي لسببين: —

الاول — انه لم تجر العادة ان يطلق اسم مدينة بالغة ما بلغت من العظمة على قطر بأسره كما انه ليس يصح في الاذهان ان يجهل هؤلاء الملاحون اسم البلاد التي كانت في ذلك العهد أغنى بقاع العالم والمنفردة من دونها بالحضارة ثم يهبطون اليها على جهلهم بها، واعتاظهم انما يركبون الاخطار ويتجشمون الأسفار ابتغاء المنفعة وجرياً وراء الغنائم. وينجولون من ثم في انحاء الدلتا ويرون مدائنها العظيمة ومعالمها الفخمة ومظاهر الثراء البالغ فلا تأخذهم من ذلك دهشة تحفزهم على السؤال عن اسم البلاد. ويلبثون على ذلك حتى ينتهي بهم المطاف في العاصمة وهناك لا يعرفون اسم البلاد ولكن يسمعون من اهلها اسم مدينتهم فيحسبونه اسم البلاد وينقلونه محرفاً الى بلادهم

والسبب الثاني لمعارضتي هذا الرأي هو ما تقرره معاجم اللغة من ان لفظة كيا يونانية وان اليونان الاقدمين اشتقوها من «حم» اعترافاً لهذه البلاد بانها واضعة الاساس لهذا العلم النفيس والحقيقة التي تبرز من ذلك هي ان هذه البلاد كانت معروفة في اليونان في عصر ازدهار العلوم وتبويبها باسمها القومي لا باسم ايجبت

والذي نراه ان هذا الاسم لم يظهر في الوجود الا في زمن تمتع فيه المهاجرون من اليونان وجزر بحر ايجه بنفوذ عظيم في البلاد. وبالرجوع الى التاريخ نجد انه قبل قيام الاسرة السادسة والعشرين كانت البلاد ممزقة الأوصال لوقوع الدلتا تحت نير الاشوريين ومصر العليا تحت سلطان الاثيوبيين. وكانت الروح القومية من جراء ذلك واهنة فلما اراد بسامتيك توحيد البلاد ولمّ شعثها وربط أجزائها تحت حكمه لم يرَ مناصاً من الاستعانة على تنفيذ مشروعه بجنود يستأجرهم من هؤلاء المهاجرين. ويروي هيرودوتوس خبر ذلك لسان فضل قومه وحسن بلائهم وهو مؤرخ يوناني زار هذه البلاد بعد بسامتيك بنيف ومائتي سنة اذ كانت قد أفل نجمها وفقدت استقلالها ودخلت في نطاق الامبراطورية الفارسية فيقول:

كانت الدلتا منقسمة الى اثنتي عشرة منطقة يحكم كلاً منها ملك مستقل بشئونها. وكان هناك وحي ينبيء بأن احدهم سوف يتسلط على الآخرين ويبسط سلطانه على البلاد بأسرها وهو الذي يتاح له يوماً ان يسكب تقدمته من الخمر للاله بتاح من آنية نحاسية . فتعاهد الملوك فيما بينهم على ان لا يذهبوا الى المعبد الا مجتمعين خشية ان يذهب احدهم منفرداً فيصنع ما أشار به الوحي في غفلة من الآخرين . ولبثوا على ذلك ردحاً من الزمن يسود بينهم الصفاء ويرفرف على ربوعهم السلام حتى كانت احدى السنين وحل موعد زيارة المعبد لتقديم التقدمات المعتادة وكان المتبع في هذه المناسبة ان يعد الكاهن اثنتي عشرة كأساً ذهبية ليضع الملوك تقدماتهم فيها غير انهُ في تلك السنة أعدَّ عن سهو احدى عشرة كأساً فقط وأخذ يوزعها عليهم ولما جاء دور بسامتيك لم يصب كأساً . عند ذلك أسرع فنزع خوذته النحاسية وملأها خمراً وسكب منها أمام الاله . واذ رأى الملوك الآخرون ذلك هموا وأوجسوا خيفة من بسامتيك لعلمهم بما ينطوي عليه عمله من تهديد لهم فيما لو صدق الوحي . فأغروا به واتفقوا على قتله . لكنهم عدلوا عن ذلك وتألبوا عليه وتحالفوا ضده وحاربوه فأخرجوه من دياره ذليلاً مقهوراً وما زالوا يطاردونه حتى أدخلوه الادغال الشمالية المحاذية للبحر

مكث بسامتيك هناك زمناً وهو كسير النفس حزين حتى لقد غمره اليأس من تبدل الاحوال وظن ان لا مخرج له من هذا المصير السيء . فأرسل الى معبد بوتو يستفتي الوحي في أمره . فجاءه النبأ اليقين بأن يوم الانتقام آت لا ريب فيه وموعده حين يجيء من ناحية البحر قوم من النحاس

كانت كلمات الوحي غريبة في بابها فلم يطمئن بسامتيك أول الأمر اليها كثيراً . وساورته الشكوك في امكان تحقيق الوعود التي جاءت بها . غير انه لم يمض الا زمن وجيز حتى هبط الى الشاطيء قرصان من اليونان والكاريين وكانوا جميعاً يلبسون دروعاً من النحاس تغطيهم من الرأس الى القدم . واذ رآهم بسامتيك نزلت السكينة في قلبه وأيقن ان الوحي قد صدقه الوعد وان ساعة الانتقام قد دنت . عندئذٍ تقدم اليهم وعرض عليهم ان يساعدوه على قتال الملوك الآخرين واخضاع البلاد بأسرها لسلطانه لقاء أجر كبير . فقبلوا ذلك وألف منهم ومن المصريين الموالين له جيشاً جرده لقتال ملوك الشمال الذين غدروا به . ولما فرغ منهم انقض على الجنوب يحاربه فاستسلم له . وهكذا أصبحت البلاد بأسرها تحت حكم بسامتيك . وكان شجاعاً حازماً ومدبراً حكيماً ، واستطال زمن حكمه فاستطاع ان يضع الاسس المتينة لقيام أسرة من خلفائه هي الاسرة السادسة والعشرون . فهذه الرواية وان تكن بالاساطير أشبه ، فان التاريخ يؤيد ما جاء فيها عن المهاجرين الايجيين واليونان ، انهم كانوا عدة بسامتيك في الانتصار على خصومه والدعامة القوية التي أقام عليها مجد أسرته ويزيد عليه انه أجزل لهم

انعطاء حراً وفاقاً على ما أسدوا له من العون لنبوغ ما وراء فعيهم في حرسه الخاص وأفضلهم بعض الاراضي في الدلتا ومنحهم كثيراً من الامتيازات

هذا خ ساء بسامتيك حدوده ونهجوا نهجه . لكن كان أكثرهم سخاء مع هؤلاء المهاجرين وأشدهم عطفاً عليهم الملك الذي يسميه اليونان أمازيس ويشيدون بذكره كثيراً في كتبهم ويروون كثيراً من القصص عن كياسته وحكمته فلقد بلغ من حبه لهؤلاء القوم أنهُ تزوج يونانية تدعى لارنكا وضاعف لهم المنح وزاد لهم فيما يتمتعون به من امتيازات حتى أصبحوا وهم خير مقاماً في البلاد من المصريين أنفسهم . وأفسح لهم المجال للانخراط في سلك الجيش فأصبح الجيش بهذه السياسة مؤلفاً من فرق مصرية وفرق يونانية وعلى رأس بعضها قواد يونانيون . وكان من جراء ذلك أن عظمت هجرتهم الى البلاد وكثر عديدهم فوهبهم أمازيس مساحات واسعة في الدلتا شيدوا عليها مدناً لهم خاصة وأقاموا فيها المعابد لآلهتهم من أشهرها نوكراتس وهي ميناء كانت تقع على فرع رشيد فداخلهم الغرور بما وطىء لهم من مهاد العز والجاه في تلك البلاد حتى كانوا يقولون على ما جاء في كتاب « على هامش التاريخ المصري القديم » للمرحوم عبد القادر حمزة باشا « بأن هذه المنطقة امتداد لليونان »

واذا تقرر هذا فانهُ يبدو من المحتمل جداً أن أولئك المستعمرين قد اختلطوا مع غيورهم فأطلقوا على هذه المنطقة اسم ايجبتوس اشتقوه من ايجبا وهو اسم البحر الذي يفصلهم عن الجزائر التي نزحوا منها

وهناك اسطورة عند اليونان تزعم أن ايجبتوس كان من ولد زفس كبير آلهتهم وهو الذي أسكنهُ هذه البلاد فأطلق اسمه عليها وخلاصتها انه كانت للاله زوجة تدعى هيرا ثم أخذ عليها امرأة أخرى تدعى ايو وكانت كاهنة لهيرا في معبدها فاستشاطت لذلك غضباً وتملكتها الغيرة وانتقمت منها بأن مسخيتها بقرة وجعلتها تضرب في الآفاق على غير هدى حتى هبطت هذه البلاد . وعلم زفس بأمرها فحن بها ورددها الى هيئتها الاولى وأولدها ابناً كان من سلالته ايجبتوس

هذه الاسطورة لا تخالف ما ذهبت اليه اذ انها لا تعدو ان تكون تعليلاً لوجود جالية يونانية ذات نفوذ في البلاد وهي تلقي في الروع ان هؤلاء اليونان لم يكونوا أجانب في البلاد لأن الاله هو الذي أوجدهم فيها وأعطاهم اياها وهو زعم يتمشى مع نظريتهم القائلة بأن هذه البلاد امتداد لبلادهم التي على الجانب الآخر من البحر

وبعد بسامتيك بنحو أربعة قرون أصبح اليونان سادة العالم وانتهت اليهم أزمة الحكم في هذه البلاد فغلب الاسم ايجبتوس على البلاد كلها ثم اختصر الى ايجبت . ولما فتح العرب البلاد وجدوها تدعى بهذا الاسم فحرفوه الى قبط اسبوط

من تراني لست أدري !

لحسين محمود البشبيشي

من تراني كنت قبل الروح قل لي من تراني
لست أدري مبدأ الروح . . . وميلادَ زماني
لا أرى سري الذي يخفى ، وسري لا يراني !
بئست الدنيا إذا كان ضلالي في كياني !

من تراني لست أدري أي معنىً لوجودي
ووجودي زورق يسري الى شط الخلود !
ما الذي أجرمتُ حتى تتراماني قيودي
مبدأي سرٌّ . . . وغايايَ في ليل اللحود !

يا عذاب الفكر في سرّي وفي سرّ الليالي
حيرة طافت بأفكاري . . . وأوهامٌ حيالي
تتلقاني شكوك في أصولي ومالي . . .
غير أني . . لست أدري ما صوابي من ضلالي !

موكب الأقدار يسري وبكفّيه المصير
إن يكن سعداً فقلبي قد تجافاه السرور
او يكن شرًّا فروحي لم يعدْ فيه شعور !
وبقيت اليوم لا زهرٌ يروضي او عبير !

بسمتي آه يا ويحيَ ولّت بسمتي

وتوارت فرحتي الكبرى بأطلال الشكاة
فلسفاتُ الكون أحزاني . وحزني فلسفاتي !
إن يكن فكريَ حرًّا ، فأنا عبد الحياة !

كلما رمتُ فكاكاً من حياتي وقيودي
جاذبتني نفحة تسري بروحي لوجودي !
فرأيت الكون بسام الجمالي والورود
وتهافتُّ على الدنيا بأشواق الشريد !

نفحات الروض أعطاري ، وعطر الروح عمري !
أتراني اذ علمت العمرَ . . . قد أدرك عطري ؟
وأرى فكري وحسي صلةَ الله بسري :
إن يكن خلقيَ حقًّا فمصيري لست أدري !

في خضم الوهم ممدود شراع الفكر مني
ليس يدري ما وراء الموج من نورٍ ودجن !
تقتراه ختوفٌ من تباريحي وحزني
ما سرى النوم بأفكاري وما داعب جفني !

أين من عقلي تهاويلُ خيالي وضيائي !
خدعٌ للنور سارت في تلافيف الفضاء
ما جداء النور والشك أمامي ووراءي !
ظلمةٌ قد عمت القلب فمن لي بالنجاء !

أنا من أمري كياني في ظلامٍ وضلال !
غاب عن عيني سرُّ الكون والسرّ حيالي !!

جوهر السرّ به يجري روحي وخيالي
وكلانا نفحة الأسرار من روح الكمال !

والذي أوحى الى الشاعر أزهار المعاني
وتصاوير خيالا . . . وتهاويل الأماني
وحباه الوثبة الكبرى لما بعد الزمان
أوحى الشوك الذي خلّف أزهار الجنان !

والذي كلل ثغر العيد بالدر النضيد
وأذاب الفتنة الكبرى على ورد الخدود
سخّر الترب ليطوي كل هاتيك الورود !
يا لهول الحسن . . . بين الدود في ليل اللحود !

كم بعثت الطرف يسري في تلافيف الظنون
علّه يدرك سرًّا غاب عن تلك العيون
علّه يعلم ما في الروح من سرّ دفين
علّه يطفىء أشواقي . . . فقد طال حنيني !

وتلفتُّ الى الماضي . . . وما خلف الدهور !
أرقب العالم والأسرار من أفق الضمير !
علني أدرك ما قد غاب في طيّ الستور
غير أن الطرف والافكار ضلّت في الهجير !

ها هنا نور وخلف النور أستار الظلام
وأنا حيٌّ بيومي ! وغدي طوع الحِمام !
وستطوي الفنّ والفنانَ أهوال الزحام
وتعود الفتنة الكبرى هباءً من حطام ! !

الإعلام

في كتاب الامتاع

للاب انستاس ماري الكرملي

١ — ﴿ تصدير ﴾ كنا كتبنا فصلاً في (الحيوان في كتاب الامتاع والمؤانسة) ، وبينا أسماء تلك الحيوانات، وكيف صُحّفت، وذكرنا ما يقابلها في اللغى العربية والعلمية، إيضاحاً للحقائق . وكنا وعدنا القارىء ان نكتب فصلاً آخر في تصحيح ما جاء في ذيالك السفر الفذ من الاوهام الناشئة من براع النساخ والثقة في تدوين ما ورد فيه من الاعلام . فانجازاً لوعدنا نرصد اليوم هذه الكلمة محاولين تحقيق هذه الاسمية ، فنقول .

٢ — ﴿ مسكويه لا ابن مسكويه ﴾ جاء في المقدمة في الصفحة (ط) : «وابن مسكويه صاحب (تهذيب الاخلاق) و(تجارب الامم) » ومثل هذا جاء في حاشية الصفحة ٣٥ — وأما التوحيدي فلم يذكره إلا باسم (مسكويه) — راجع ص ٣٢ و٣٥ و٣٦ و٤٨ و١٣٦ . وضُبط في ص ١٣٦ بفتح الميم ، واسكان السين ، وضم الكاف ، وفتح الواو ، فياء ، فهاء . وأما صحيح الضبط فهو (مِسْكَوَيه) أي بكسر الميم،واسكان السين ، وفتح الكاف والواو واسكان الياء ، وفي الآخر هاء مكسورة . كما ضبطهُ صاحب القاموس وتاج العروس . — او ان يقال : مسكويه أي بكسر الميم ، واسكان السين ، وضم الكاف ، واسكان الواو، وفتح الياء ، واسكان الهاء . على ما يجري مثل هذا الضبط على طريق المحدثين ، وصرح به الشهاب ، واستشهد به لغير الحوريني في كلامه على حمويه

وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم الادباء (طبعة مرجليوث ٢ : ٨٨) احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه . ولم يقل (ابن مسكويه) وكذا فعل الاقدمون . فكان رائحة المسك ما كانت تفارقه . كما قالوا سيبويه وقطويه ، الى نحوهما . ولم يقولوا ابن سيبويه ولا ابن قطويه . فتأمل

٣ — ﴿ نظيف النفس لم يكن قسّاً ﴾ ورد في ص ٣٢ ذكر النصيب (نظيف) ، فقال الناشران في حاشية تلك الصفحة في العدد ٦ ما هذا نصه : « نظيف هو القسّ نظيف النفس

الرومي . . . » — قلنا : لم يكن نظيف قسًّا ، بل كان من جملة عامة الاطباء ، وكان اسمهُ (نظيف النفس الرومي ، على ماورد في ابن القفطي ص ٣٣٧ من طبعة الافرنج . فقرأها بعضهم (نظيف القس الرومي) كما في ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٣٨ ، وكما في مختصر الدول لابن العبري طبعة بيروت في ص ٣٠٥ وهذه عبارتهُ : « ومنهم نظيف القس الروميّ ، كان طبيباً عالماً بالنقل من اليوناني الى العربي » — فيجب ان تقرأ (نظيف النفس الرومي) في هذا الكتاب وفي كل موطن ورد هذا العلم

وممن صحف هذا الاسم ايضاً ، الاستاذ شريف يوسف في مقالة لهُ في مجلة (العلم الجديد) البغدادية ، قال فيها انهُ (نصيف بن يمن القسّيّ) — والذي عندنا انه كان للطبيب (نظيف النفس) الرومي ، اسم رومي هو (كثروس) Katharos الذي معناه (نظيف النفس) فلما نقل اسمهُ الى العربي ، قال (نظيف النفس) ، كما فعل الالماني المستشرق (اوغست مللر August Müller) ، لما نشر كتاب (عيون الانباء ، في طبقات الاطباء) لابن ابي أصيبعة ، اذ ترجم اسمه فقال : (امرؤ القيس بن الطحان) ، وكما يفعل العلامة المستشرق المعاصر (فريتس كرنكو Fritz Krenkow) ، حيما ينشر مقالاته والكتب التي يُعنى بطبعها ، اذ يسمي نفسه (سالم الكَرْنَكَوريّ) ، وكما كنتُ افعل انا أيضاً ، حيما كنتُ اترجم اسمي اليوناني الى العربي بقولي : (الشيخ بعيت الخضري) . وهناك آخرون كثيرون يترجمون اسماءهم الاجنبية الى لغة البلاد ، لاسباب علمية ، أو ادبية ، أو اجتماعية ، وكما فعل من تقدمنا من أبناء هذه اللغة في سابق العهد ، إذ سمّوا يوحنا فيلبس Ioannes Philoponos ، يحيى الخريص (المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ، المطبوع في دير الافرنج ص ١٣ س ٢)

وقد نقل المؤرخون عن الطبيب (نظيف النفس) ان الناس كانوا يتطيرون منه ، ويرتعون به ، اذا دخل الى مريض . وكان عند الدولة يتطير به . فلم يكن نظيف سعيدَ المباشرة ، ولا منجح المعالجة في حياته ، وكأن هذا الشؤم لازمهُ حتى بعد مماته ، إذ نرى اختلاف الناس في نقل اسمهِ الى يومنا هذا اختلافاً غريباً بين (نظيف النفس الارمي) و (نظيف القس الرومي) و (القس نظيف النفس الرومي) و (نصيف بن يمن القسي) ولعل هناك غير هذه التصحيفات ونحن نجهلها لورودها في مخطوطات ليست الآن بأيدينا ، وقد ذكر لنا منها : (الناطف الطبيب الرومي) و (الناطق الطبيب الرومي) الى نظائرها من الكلم المشوهة

٤ — ﴿ الصابيء لا الصابي ﴾ جاءت الصابيء ، المهموز الآخر ، بالياء في ص ٦١ و ٦٢ و ٦٧ . وقد قال ابن خلكان في ١ : ١٨ من طبعة بولاق : « والصابيء بهمزة آخره » ليتميز

من الصابي بالياء ، اسم فاعل من صبا يصبو ، بمعنى المائل الى الصبوة . وقد ذكر الشارحان في حاشية ص ٦٧ : دين الصابئة ولم يقولا : « دين الصابية » . وهذا هو التصحيح الصحيح ، ودونه التصحيح

٥ — ﴿ بلهور وبلهرا ﴾ ذكر (البلهور) في ص ٧٩ ، إذ قال المؤلف : « وكل بلهور كان بالهند » ، وقيل في الحاشية : « بلهور » : لقب بكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيبويه في كتابه ، وفسره السيرافي . وهذه العبارة هي عبارة تاج العروس بلا زيادة ولا نقصان ، وذلك في ترجمة (ب ل ه و ر) ، ومن الغريب ان الناشرين لم يشيرا الى أنها كلمة الزبيدي

وكنا نود أيضاً ان يذكر الناشران ما جاء من اللغات في هذا اللفظ . فقد قال المسعودي في مروجه (١ : ١٦٢ من طبعة باريس) « وتملك على ملك الناقكير — وهي الجوزة الكبرى — ملك يسمى بالبَلْهَرَى ، وهو أول ملك من ملوكهم ، يسمى بالبلهرى » — وفي ص ١٧٧ : « وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا [سنة ٣٣٢ للهجرة] البلهرى صاحب مدينة للانكير ، وأكثر ملوك الهند تتوجّه في صلاتها نحوه ، وتصلي لرسله » . وفي ص ١٧٨ : « وأما البلهرى ، فبين دار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخاً سندية ، والفرسخ ثمانية أميال » وأعاد ذكر البلهرى في ص ٣٧٢ و ٣٧٤ و ٣٨٢ من الجزء المذكور

وأبو الريحان ذكر هذا اللقب هكذا (بلهرا) بألف قائمة في كتابه (الآثار الباقية) ص ١٠٠ . وراجع مجلة الرسالة ٩ : ٦٢٢

وأما ابن خرداذبه فسماه (بَلْهِرا) باختلاف في الضبط ، اي بفتح الباء الموحدة التحتية ، واسكان اللام ، وفتح الهاء والراء . وفي الآخر ألف قائمة [1] . وأما المسعودي فكان قد ضبطه بفتح الباء واللام ، واسكان الهاء ، وفتح الراء ، وفي الآخر ياء غير منقوطة . وضبطه مثل هذا الضبط ايضاً في ص ٦٧ فقال : « وأعظم ملوك الهند (بلهرا) وتفسيره : ملك الملوك . ونقش خاتمه : مَنْ ودَّك لا ضيع ، ولّى مع انقطاعه

وسماه الاصطخري في كتابه (مسالك الممالك) في ص ١٧٣ من طبعة بريل ايضاً : (بلهرا) كما ضبطه ابن خرداذبه . وكذا ضبطه أيضاً ابن حوقل في ص ٢٢٧ من الطبعة الالمانية

وجاء في معجم فلرس الفارسي اللاتيني ما معناه : « بلهرا وبلهرى (بفتح فسكون) وأضعف منهما : بلهار ، اسم ملوك من الدولة الولاهيتية — واسم مدينة او كورة سميت بها الدولة المذكورة — وبلهرا وبلهرى من اللغة البراكريتية . وهي مشتقة من اسم المدينة المسماة (وَلَبْهي) ، وكذلك اسم الملك . وقد ذكرها بعضهم باسم (ورلهرا) أو (ورلهرا) ؛

(١) في كتاب المسالك والممالك من طبعة بريل ص ١٦

ثم صحفت بالوجه الذي تراه . هذا ما ذهب اليه العلاّمة الالماني كلدميستر Gildemeister في سفر المترجم بالشؤون الهندية في ص ٤١ — ٧٤٣

ويحسن بنا ان نذكر بعض الملاحظات بعد ان نقلنا هذه النقول . وأول ملاحظة نبديها هي ان العرب الاقدمين عربوا (البلهور) بوجهين : احدهما هذا الذي ذكره سيبويه في كتابه ، وهو أبعدهما عن الاصل المنقول عنه ، ولذا أهمله السلف كل الاهمال ، بعد المائة الثالثة

ولما كان التوحيدي من أبناء المائة الرابعة ، نظنُّ ان صحة رواية هذا اللقب في كتابه هي (بلهرا) او (بلهرى) ، لا (بلهور)

والملاحظة الثانية تتعلق بالعبارة التي جاءنا بها صاحب التاج ، ونقلها الناشران بحروفها ، بدون أدنى اشارة الى قائلها الاول ، أي الزبيدي . مع ان تلك القولة تحتاج الى تصحيح . فقد قال السيد مرتضى ما هذا اعادة عبارته : « البلهور ، كعضنفر ، أهمله الجوهري ، وقال الصغاني : هو المكان الواسع . ومما يستدرك عليه : كل عظيم من ملوك الهند بلهور . مثّل به سيبويه ، وفسره السيرافي » انتهى

و ولنك الآن عبارة سيبويه كما جاءت في كتابه (المطبوع في مصر سنة ١٣١٧ في ٢ : ٣٣٦ . والمطبوع في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢ : ٣٦٧) : « وتلحق [الواو] رابعة ، فيكون الحرف على مثال فَعَلْوَل ، وهو قليل في الكلام . قالوا : كَنْهُور وهو صفة ، وبلهور وهو صفة » فظهر من هذا ان سيبويه وزن بلهور وزان فعلوَل لا فعنلل ، الذي هو مثال عضنفر ، كما ذكر سيبويه هذا الميزان والموزون في كتابه عينه ، وفي الفصل عينه بعد صفحتين

ولم نرَ في حاشية هذا الفصل تفسير السيرافي لهذا اللفظ ، مع ان كتابهُ الذي فيه تفسير هذا اللفظ ، واسمه (تقريرات لابي سعيد السيرافي) موجود في سائر الفصول ، إلاّ في هذا الفصل ، فانهُ لا يُرى ، مما يدل على نقصان في كتاب السيرافي هذا

ولنعد الآن الى اتمام كلامنا على عبارة التوحيدي ، فنقول : إن كانت هي نص العبارة التي طبعت في هذا الجزء ، فكان يحسن بالناشرين ان يذكرا (البلهرا) او (البلهرى) وينبهها على اختلاف الروايات ، ولاسيما أنها من روايات المؤرخين ، ليطمئن بال القارىء لان روايتهم هنا اوثق من رواية اللغويين الذين يحاولون دائماً ردّ الالفاظ حتى الدخيلة منها ، الى أصول قريبة من مألوف الكلام العربي ، واوزانه وصيغه

ومن يرد التوسع في معرفة هذه اللفظة ، وتاريخ وجودها في لغتنا ، فعليه بمقالة معلمة الاسلام في مدة Balhara فانهُ يجد فيها ما يجزأه عن مطالعة كتب كثيرة . ويصيب ما لم يصبهُ في مقالنا هذا

٦ — ﴿ صبهد خطأ والصواب إصبهد ﴾ صحفت هذه الكلمة في ص ٧٩ بفتح الصاد والباء الموحدة التحتية وسكون الهاء وضم الموحدة التحتية . وفي الآخر ذال معجمة . ولم أجد هذا اللفظ إلا همزة في الاول ، ولا من ضبط الباء الثانية بالضم . بل بالفتح ، كالباء الاولى . قال الزبيدي في مادة (ص ب ه ب ذ) : « الإصبهبذية : بالضبط الماضي (اي بفتح الهمزة ، وسكون الصاد ، وفتح الموحدة ، وسكون الهاء ، ثم الموحدة التحتية المفتوحة ، وفي الآخر ذال معجمة) . نوع من دراهم العراق ، نسبت الى إصبهبذ . قال الازهري في الخماسي : وهو اسم اعجمي . وصاده في الاصل سين . قلت : وقد وقع في شعر جرير ، وقال : إنه معرب ، ومعناه : الامير . كذا ذكره غير واحد من الائمة . والاصبهبذية : مدرسة ببغداد ، من المدرسين ، نسبت الى هذا الرجل . اه كلام التاج

قلنا : وقد ورد اللفظ صبهبذ على الوجه الفارسي في كثير من الكتب الخطية التاريخية فجاء فيها : (إسْبَهبذ) بكسر الهمزة فسين ساكنة فباء مثلثة مفتوحة فهاء ساكنة فباء موحدة تحتية فذال مهملة ، وقد جاءت معجمة ايضاً . — و (اسْبَهْبَذ) وهنا وردت الباء الثانية موحدة مضمومة — و (اسبهْبَذ) والباءان هنا موحدتان مفتوحتان . والكلمة فارسية قديمة منحوتة من (اسپه) أي جيش . و (بذ) أي رئيس . وهو لقب يلقب به كل من ملك طبرستان ، على ما في المعجم تبيان نافع التركي الفارسي وكان في بدء أمره مرزباناً للساسانيين ثم انتحل لنفسه الملوكية . ويقال أيضاً (إصبهبذ)

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة (طبرستان) . « وكان بلاد طبرستان في الحصانة والمنعة على ما هو مشهور من أمرها . وكانت ملوك الفرس يولونها رجالاً يسمونه (الاصبهبذ) ، واذا عقدوا له عليها ، لم يعزلوه عنها حتى يموت . فاذا مات ، أقاموا مكانه ولده ، ان كان له »

وما جاء في الامتاع ص ٧٩ : « وكل صبهبذ كان من اسكنان وبردوان » غير صحيح لان كلا من هذين موضعين قرية . والملك أو الاصبهبذ لا يكون غير رأس قرية ، بل على رأس مدينة أو حاضرة . فيجب أن يبحث هنا عن اسمي مدينتين أخريين تكونا في طبرستان لان الاصبهبذ لا يكون الا في طبرستان كما تقدم الكلام . و إلّا تكونا في طبرستان نفسها ، فيجب أن تكون قريبتين منها ونظيرتها (كيلان أو ارويان) في تقوية الملك لا في امتداده

أو ان تحرر العبارة هكذا : « وكل إصبهبذ كان من طبرستان فبسكنان معنى وعلى

وأما صبهبذ : بلا همزة في الاول فخطأ على كل حال لانها لم ترد في الفارسية ولا في العربية في النصوص الموثوقة اذ لم ينطق بها فصيح من العرب ولا من أبناء عدنان

٧ — ﴿ اردشير لا ازدشير ﴾ وردت هذه الكلمة في حاشية ص ١٣٦ في هذه العبارة « شاعر من شعراء الوزير ابي نصر بن ازدشير » . وفي حاشية ص ١٣٧ في قوله « وسابور بن ازدشير » وفي ص ٦ من الفهرس في قوله « بهرام بن ازدشير » وفي ص ٧ من الفهرس المذكور في قوله « سابور بن ازدشير » . ولم يذكر (اردشير) بالراء الاّ مرة واحدة ولعلها من باب خطأ الطبع وذلك في حاشية ص ٤٣ حيثما قال « هو أبو سعيد بهرام بن اردشير لكن لما أراد الفهرس . ان يعيد ذكره في هذا الموطن ، لم يذكره الاّ بالزاي ، كأنه لما ذكره بالراء وَهِمَ ، فأصلح ذلك في هذا المكان اللائق به

والصواب انهُ بالراء ، لانهُ علم فارسي ، والاعلام تروى كما وردت ، لكن الجهلة من النساخ صحفوه بالزاي فقالوا : « ازدشير » متوهمين ان اللفظ منحوت من (ازد) وهي قبيلة من العرب ، ومن (شير) الفارسية ، ومعناها الاسد ، كأنهم يريدون ان يقولوا : ان فلاناً لم يسم بازدشير الاّ لكونه (أسد الازد) !

وأردشير كلمة جاهلية الاصل ، منحوتة من (ارتا) أي شهير وجليل وكبير ، و (خشاثرا) أي ملك ومملكة ، فيكون معنى الكلمة : الملك الاعظم ، لكن الفرس المحدثين جهلوا الأصل الحقيقي القديم ، وتوهموا الكلمة مركبة من (اردِ) أي غضب . و (شير) أي أسد وقالوا ، معنى هذا التركيب : الاسد الغضوب . ويراد به الرجل الحقود أو القوي ، الجبار ، الشديد البطش

٨ — ﴿ نظران في فهرس الاعلام ﴾ ومما يتعلق بالاعلام ، ان مفهرسها لم يلتفت الى تقييد مواطن العلم الواحد ، في جميع مساقطه من الكتاب . وأول هذا الاهمال بادٍ في أنه لم يدون صفحات الاعلام الواردة في المقدمة ، ولعلهُ تعمد ذلك ، لان تلك الاعلام ليست من نص التأليف . قلنا : وما هذا بعذر ، فكان يحسن به ان يدونها ، وهي كثيرة ، ويرد الطالع ان يعود اليها عند احتياجه الى مراجعتها

ونسي بعض الاحيان تقييد جميع موارد العلم الواحد ، فقد نسي مثلاً ذكر موارد (ابن زرعة) في ص (ط) و ٣٢ : ١ و ٩ — ٣٣ : ٨ و ٤٨ : ٢٣ —

ونسي ذكر مكوبه الوارد في ص ٢ من الفهرس . صفحة (ط) : ١٢ و ٣٢ : ١ و ١٦ — و ٣٥ : ٣ و ٣٦ : ٢ — و ٤٨ : ١٤ — و ١٣٦ : ٤ . ولم يذكر لاردشير رقم ص ٤٣ : ١٥ — وكذلك لم يذكر الصفحتين اللتين ورد فيهما ازدشير بالزاي ، وهما ١٣٦ و ١٣٧

هذا ما بدا لنا على جناح السرعة ، ولعل هناك من يعثر على غير ما عثرنا ، لأن الانسان ، هدف النسيان

دراسة اللغة العربية

الفصحى في مدارسنا المصرية

لعبد الله أمين

أن الغرض من درس اللغة الفصحى في المدارس هو اقدار الدارسين على التكلم والكتابة بها وعلى القراءة الصحيحة وعليه فخير الطرق لتحقيق هذا الغرض هو أنْ تُدَرَّسَ ألفاظ اللغة المفردة الفصيحة الكثيرة الشيوع وأدبها الجيد القديم والحديث من شعر ونثر دراسة فهم وحفظ ومرازنة وتحليل ونقد ومحاكاة على النحو الآتي

المرحلة الاولى من التعليم العام

المرحلة الأولى من التعليم العام هي عندنا المدارس الأولية والمكاتب العامة والمدارس الابتدائية . وإني لمن أشد المتحمسين لإدماج المدارس الأولية والمكاتب العامة في المدارس الابتدائية وجعلها جميعاً مدرسة واحدة قومية خالية من اللغات الأجنبية . وأرى أنْ يكون تدريس اللغة العربية في هذه المرحلة على النحو الآتي :—

يختار للتلاميذ هذه المرحلة طائفة ملائمة لمداركهم من ألفاظنا العامية المحرّفة وتُقارن بأصولها الفصحى الصحيحة وتوزع توزيعاً ملائماً على سنوات هذه المرحلة الدراسية لدراستها وحفظ الصحيح الفصيح منها والتدرب على التعبير به في الكلام والكتابة بدل التعبير فيهما بالألفاظ العامية المحرفة . ويختار كذلك لتلاميذ هذه المرحلة مختارات من الأمثال والحكم والأغاني الشعبية والشعرية العامية وتُرد الفاظها العامية المحرّفة الى أصولها الفصحى الصحيحة ويصحح ما فيها من خطإ في الأسلوب وتوزّع هي الأخرى على سنوات الدراسة على أن تدرّس دراسة فهم وحفظ ومرازنة وتحليل ونقد على قدر مداركهم وعلى أن يدرّب التلاميذ على التعبير بها في الكلام والكتابة ويختار كذلك طائفة جيدة كثيرة من جيد الشعر والنثر العربي الفصيح الحديث ومن النوادر الحسنة وتدوّن في كتب مشكولة شكلاً كاملاً وتشرح ألفاظها وأساليبها في صلب الكتب لا في هوامشها شرحاً أدبياً واضح المعنى واضح الكتابة ملائماً

لمدارك هؤلاء التلاميذ لتدريب التلاميذ على دراسة الأدب وفهمه وتذوقه وعلى التعبير عن معانيه بعبارات شفوية بمحاكاة نثره وتنويع أساليبه وبنثر شعره ويُطالبون أحياناً بكتابة عباراتهم الشفوية على أن تُعَدَّ هذه الكتابة تدريباً على الإنشاء

تكون هذه الكتب الأدبية مادة المطالعة الجهرية والمحادثة والانشاء الكتابي . على أن يكون بجانب هذه الكتب قصص أدبية وكتب حديثة للمطالعة الصامتة على نحو الكتب المقررة للمطالعة الآن ، وهي كتب تشتمل على مباحث عامة في المعلومات العامة المحيطة بالاحداث وفي التاريخ والجغرافية والادب وغير ذلك

وتُقصر دراسة اللغة العربية في هذه المرحلة على هذا القدر من الدراسة فلا تشغل أذهان تلاميذها العصية بقواعد لا تقوى على إدراكها ولا على تطبيقها ولا تشغل كذلك بدراسة لغة أجنبية لتفرغ أذهانهم لادراك الفصحى وتذوقها وإساغتها وإشاعتها في المنزل والمجتمع فان هؤلاء الأطفال خير وصل الاذاعة والنشر

المرحلة الثانية من التعليم العام

يختار لتلاميذ هذه المرحلة من الالفاظ والأساليب العامية المحرفة مقدار صالح وتقارن بأصولها الفصحى الصحيحة وتوزع توزيعاً ملائماً على سنوات هذه المرحلة الدراسية (مرحلة الثقافة العامة) لدراستها وحفظ صحيح الفصيح منها والتدرب على التعبير به في الكلام والكتابة بدل التعبير فيهما بالالفاظ والاساليب العامية المحرفة . ويختار لها مع ذلك طوائف صالحة من جيد النثر والشعر العربي الفصيح لكل عصر من عصور الأدب وتشرح شرحاً أدبياً ملائماً لمدارك هؤلاء التلاميذ وفي أصلاب الكتب وبحرف كبير مشكول كالأدب نفسه على أن تستمر دراسة هذا وذاك في جميع سنوات الدراسة ويستمر معها تدريس تاريخ الادب العربي كله على أن يوزع على هذه السنوات توزيعاً عادلاً وان يكون موجزاً كل الايجاز

ولا يدرس في هذه المرحلة من علوم اللغة العربية الا النحو والصرف في كتب عددها على قدر عدد سنوات هذه المرحلة على أن يراعى في وضعها أن يكون كل منها جامعاً للمتين وعلى أن يكون الثاني مشتملاً على ما في الاول وزيادة والثالث مشتملاً على ما في الثاني وزيادة وهكذا على نحو كتب القواعد للمرحومين حفني بك ناصف وشركائه مع العناية بالتمثيل بأمثلة عصرية ولا يدرس من علوم البلاغة شيء الا في المرحلة التوجيهية لطلاب الآداب

ويختار لتلاميذ هذه المرحلة كتب للمطالعة الناطقة والصامتة من الادب القديم أو على غراره ومن الأدب الحديث ملائمة لمداركهم على اختلاف أسنانهم على أن تكون هذه الكتب مادة القراءة والمحادثة والكتابة وعلى أن تكون الألفاظ المفردة المختارة هي ألفاظ الأدب

المصري المصحح والعربي الفصيح والمطالعة وعلى ان تكون موضوعات الأدب والمطالعة هي هي موضوعات المحادثة والكتابة (الانشاء)

وفي دراسة الأدب نثره وشعره في هذه المرحلة وفي الفرق الاخيرة منها يحسن أن يناقش التلاميذ في المسائل الصرفية والنحوية الغامضة وفي المسائل البلاغية الواضحة كالتشبيهات والمجازات والكنايات الواضحة وكالتقديم والتأخير والقصر

وفي دراسة الأدب اذا ورد في ترجمة من التراجم ذكر للبديع فليس من الصعب شرح الواضح من محسناته كالجناس والاقتباس والتضمين

والقصد من ذلك تشويق التلاميذ الى دراسة هذه الفلسفة اذا بلغوا المرحلة التي تدرس فيها وهي المرحلة التوجيهية ومعرفة مقدار استعداد المتعلمين لهذه المرحلة التالية . ولا بدَّ في هذه المرحلة الثانوية من الاقتصار على لغة أجنبية واحدة

موازنة بين النظامين

إن بين النظامين النظام القائم الآن في المدارس والنظام المقترح في هذا المقال اتفاقاً من وجوه واختلافاً من وجوه

فأما وجوه الاتفاق بينهما فهي ان كلاً منهما يشتمل على دراسة الغاية والوسيلة ومقياسها . فأما الغاية فهي القراءة والكتابة والمحادثة باللغة الفصحى . وأما الوسيلة الى هذه الغاية فهي مفردات اللغة وأدبها من نثر وشعر . وأما المقياس فهو فلسفة اللغة او علوم العربية من صرف ونحو وبلاغة وما اليها . فلا ينبغي حينئذٍ لأنصار هذه الفلسفة ان يجزعوا من النظام المقترح لأنهُ لا يزال محتفظاً بعمدة النظام القائم وهو دراسة علوم العربية او فلسفتها ولكن مع توزيعها توزيعاً عادلاً مثمراً

وأما وجوه الاختلاف بينهما فهي في ان روح النظام القائم هو دراسة علوم العربية او فلسفة اللغة او المقاييس التي تعرف بها وجوه الحسن والجمال فيها فالعناية فيهِ منصبة كلها على دراستها . وقد أثبتت التجارب ان هذه الدراسة لا تجدي في تحصيل اللغة الفصحى ولا يبقى من قواعدها في أدمغة دارسيها شيء بعد تركهم معاهد الدراسة أما ما عداها من غاية ، وهي تدريب التلاميذ على القراءة والكتابة (الانشاء) والكلام بالفصحى ، ومن وسيلة ، وهي دراسة اللغة نفسها من ألفاظ مفردة وأدبيات نثرية وشعرية فليس ، لها من عناية واضحي المناهج إلاّ بقدر ما لها من عناية المتعلمين والمعلمين وهو التبرم بهما والاعراض عنهما

وإن روح النظام المقترح هو الاعتماد في دراسة هذه اللغة الشريفة قبل كل شيء على دراستها نفسها بدراسة ألفاظها المفردة وأدبها الرائع من نثر وشعر مع العناية باللغة والادب

المصري الحديث وانسمو به الى مرتبة اللغة الفصحى ثم التدريب على الغاية من دراستها وهو القراءة والكتابة والتخاطب بها . أما دراسة فلسفتها وهي علوم العربية او المقاييس التي تعرف بها وجوه الحسن والاداء في اللغة في المرتبة الاخيرة بعد ان يتذوق المتعلمون اللغة ويتدربوا على قراءتها وكتابتها قراءة وكتابة سليمتين من الخطأ وحتى التخاطب بها ، ويشتاقوا الى تعرف وجوه الجمال فيها ويستأهلوا لادراكه

ومن وجوه الاختلاف بين النظامين ان ألفاظ اللغة المفردة التي تختار للدراسة في النظام القائم تختار اختياراً سيئاً وذلك بأن تختار أبواب برمتها من كتب اللغة المرتبة على وفق المعاني مثل كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتاب الالفاظ الكتابية للهمذاني . وفي هذه الابواب من الالفاظ الغث والسمين والحي والميت والفصيح والمستكره وما يقبح ذكره وما تمسّ اليه الحاجة وما لا تمسّ اليه الحاجة وهذا اختيار من شأنه ان ينفر المتعلمين والمعلمين منه ويصرفهم عنه . وإن المعلمين والمتعلمين ليرون في دراسة هذه الابواب إضاعة للوقت والجهد بدون ثمرة وليس أبعث على الانصراف من شعور الاستغناء والازدراء الذي يشعر به دارس هذه الابواب

أما في النظام المقترح فان دراسة الالفاظ تعتمد على الالفاظ الحية التي لا يستغنى عنها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل مكان نغشاه وهي ألفاظنا العامية المحرّفة ردّها الى أصولها الفصحى ومن العبارات النثرية والشعرية العامية بعد اصلاحها وهذه وتلك هي التي تكوّن المزاج العقلي والنفسي فينا فاذا حصّل التلاميذ من الالفاظ والعبارات العامية المصححة القدر الكافي ضموا اليها طائفة صالحة من الالفاظ العربية من كلمات الادبيات المختارة ومما يختاره مجمع فؤاد الاول للغة العربية

ومن وجوه الخلاف بين النظامين في الادب ان المختار من الادب في النظام القائم يتغير كل سنة ومنه ما يسمى محفوظات للحفظ وما يسمى نصوصاً للدراسة ثم هو مشروح شرحاً موجزاً في هوامش الكتب وخط دقيق غير مشكول كأنه شيء لا قيمة له لا يقرأ ولا يدرس إلاّ على أنه ليس مقصوداً لذاته . والمراد في النظام المقترح ان تختار الادبيات من الشعر والنثر لكل مرحلة وتشرح شرحاً أدبياً ملائماً في صلب الكتاب ويقصد لذاته فيدرس الشرح كما تدرس الادبيات ثم يترك للتلاميذ اختيار ما يحفظونه على وفق أذواقهم وميولهم فلا يقيدون منه الاّ باعداد البيوت والسطور لا فرق في الدراسة بين ما يحفظ وما لا يحفظ

ومن وجوه الخلاف بين النظامين في الطالعة أن الكتب المختارة لها في النظام القائم كتب تشتمل على مباحث في معارف عامة بلغة سهلة واضحة لتدريب التلاميذ على القراءة

الجهرية وأن الكتب المرادة في النظام المقترح كتب تشتمل على أدبيات نثرية وشعرية وطرائف من النوادر الأدبية مشروحة شرحاً أدبياً على نسق الكتب القديمة كالكامل والأمالي على أن تحرر من عيوبها كالاستطراد الطويل وكذكر أشياء لا ينبغي للتلاميذ أن يقرءوها وأن يكون بجانبها قصص راقية وكتب في مباحث عامة عصرية ككتب المطالعة الحاضرة للقراءة الصامتة . فكتب النظام الحاضر لتدريب الألسنة على القراءة الصحيحة والكتب المقترحة لتدريب الألسنة على القراءة الصحيحة وتدريب المدارك على فهم اللغة وأدبها

ومن وجوه الخلاف في المحادثة أنها في النظام القائم مقيدة في المرحلة التي هي فيها وهي المكتب العامة بموضوعات معينة تجعل محل محادثة ويراد في هذا النظام المقترح أن تكون المحادثة في مباحث كتب المطالعة لغرضين أحدهما ألاّ يكون للمحادثة درس معين تراعى فيه وتهمل في غيره بل تراعى في كل درس على أنها عنصر من عناصر التدريب الخطيرة التي تجب رعايتها دائماً لا في حصص محدودة في الأسبوع ، والآخر أن تدرس كتب المطالعة دراسة وافية بالرجوع اليها حين القراءة وحين المحادثة

ومن وجوه الخلاف في الانشاء أن دراسة الإنشاء في المدارس الآن كالخمر اثمها أكبر من نفعها لأن ما يجنيه المتعلمون من دراستها لا يساوي عشر ما ينفقهُ فيها المعلمون والمتعلمون من اوقات وجهود وما تنفقه الدولة من مال . إن هذه الدراسة لا تكاد تجدي فلا هي تجعل غير الصالح للكتابة كاتباً ولا تجعل الصالح لها بارعاً في الكتابة إن هي إلاّ آفة التدريس الكبرى التي يشقى بها المتعلمون والمعلمون ويشتغلون بها عن الدراسة المجدية وتذوّق اللغة إذ أنّ المدرس في التعليم الثانوي يعلم ثلاثة فصول فيغرق في بحر لا ساحل له من كراسات الانشاء والتطبيق فكيف يجد وقتاً وجهداً لبحث مسألة من مسائل العلم بحث تحقيق وقلما تخلو الدراسة من مسائل تعرض لا يطمئن لها القلب إذا لم يقتلها بحثاً واستقصاءً

قد يراد تدريب التلاميذ على الانشاء تدريبهم على الكتابة الأدبية أي النثر الفني . والنثر الفني كالشعر هو اللغة المثيرة للعواطف القائمة على ركنين أحدهما معنى شريف سام والآخر ألفاظ وأساليب وصيغة فخمة بحيث تثير عاطفة من العواطف كالفرح والحزن والرضا والغضب وغير ذلك

وهذا الضرب من الكتابة غير ميسور لجمهرة المتعلمين من وجوه . الوجه الأول : أن هذا الضرب يكون في الرسائل الاخوانية وقد ماتت هذه الرسائل في هذا العصر الحديث عصر العلم والسرعة وإن بقيت فانها لا تستحق أن تقيم لها الدنيا وتقعدها فتدرّب جميع أبنائنا على

الكتابة فيها . الوجه الثاني : ان النثر الفني يعتمد اكثر ما يعتمد على ذوق موهوب لا مكسوب كالشعر فمحاولة كسبه عبث . والوجه الثالث : أن هذا الضرب من الكتابة الادبية لا يمكن أن يدرك بدراسة النحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها من علوم فلسفة اللغة التي جعلناها كل شيء في دراسة الفصحى ، وانما يدركها كل من نقل الادب درساً وفهماً وحصّل منه المقدار الكافي للاديب كأنْ يحفظ عشرة آلاف بيت وسطر من الابيات والسطور البليغة

وقد يراد بالانشاء ان يدرّب التلاميذ على الكتابة في الشؤون العامة التي تشغل بال المفكرين والقادة والزعماء من اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية وغير ذلك . وهذا الضرب من الكتابة يحتاج الى أن يضرب الكاتب بسهام صائبات في دراسة الشؤون الاجتماعية وأنّى يكون لاحداث المدارس وهم سجناء الدراسة الشاقة المضنية وآلات في أيدي الحداثة والصبا أن يكونوا على علم بهذه الشؤون وان يكتبوا فيها كتابة تفيض عليهم الدربة على اللغة العربية الفصحى

إن اوقات تعليم الانشاء في المدارس لتضيع في تزويد التلاميذ بمعارف تافهة يكتبونها وقد يزيد القليل من التلاميذ القليل من المعاني التي لا قيمة لها هي الأخرى وذلك بكد الذهن وبالجهد والمشقة . وبهذه الطريقة لا يمكن إدراك الغرض المقصود من تعليم الانشاء وهو تدريب التلاميذ على التعبير عما في أذهانهم من المعاني بعبارات سليمة من الخطإ والتعقيد مرتّبة ترتيباً منطقيًّا

وخير من هذا وذاك الف مرة الطريقة المبينة للانشاء في هذا النظام المقترح وهو ان يقتصر فيها على شرح التلاميذ النصوص الادبية وحلّ المنثور ونثر الشعر منها وكتابة موضوعات دروس المطالعة بعد ان يقتلوها درساً وبعد طي كتبها . وإن الهادي الموفق للصواب

سمعت بأذن قلبي صوت عتبي ... له رقراق دمعٍ مستهلّ
سمعت العاد قائلة : أأنسى ... وهذا موطني والاهل أهلي
ألست أنا التي بدمي وروحي ... غذّت منكم وأنعمت كلّ طفل
بنيّات الحمى بيّن الي ... عزيزة أمّتي لم يبس فضلي
ويا فتيانة ! هبوا لنصري ... أأرضى منكم جهد المقلّ
اذا ما القوم باللغة استخفوا ... فضاعت ، ما مصير القوم ، قل لي
وما دنيا حمى حرٍّ منيع ... بلا لغة وملكٍ مستقل

(خليل مطران)

زيلندا الجديدة

إن الظاهرة التي تستأثر بالعناية عند ذكر زيلندا الجديدة انما هي ظاهرة الانشاء السراني والارتقاء الاجتماعي السريعين الصحيحين . فقد اختزلت زيلندا الجديدة في نحو قرن قصة العمران الحديث التي استغرقت في اوربا الغربية او تزيد . فالحياة في زيلندا الجديدة كانت في أوائل القرن الماضي الى قرب منتصفه حياة العصر الحجري ، فاذا هي اليوم أتم ما تكون استكمالاً لمقومات الحضارة الحديثة في الصناعات والمخاطبات والمواصلات والصحة والتعليم والنظم السياسية الدمقراطية والاحوال الاجتماعية

وقد احتفلت زيلندا الجديدة نفسها ، ومعها جامعة الامم البريطانية ، من سنتين بانقضاء قرن كامل على حدث خطير في تاريخها . ذلك الحدث هو معاهدة ويتنجي Waitangi وبمقتضاها اتفق سكان تلك الجزائر الأصليون ، واسمهم الموري Maori مع الانكليز على جعل زيلندا الجديدة جزءاً من الامبراطورية البريطانية ، ثم مضت في سبيل الارتقاء حتى غدت — بحسب قانون وستمنستر — أمة مستقلة في نطاق جامعة الأمم البريطانية

هذا الارتقاء المطرد لم يكن خلواً من عقبات تعترض سبيله . ولكن كل عمل ملاءمة في حياة الافراد والجماعات ، يحتاج الى بذل وتضحية ويقتضي شيئاً من الالم ، وقد خرجت السلالتان الانكليزية والموزية من هذه الحوادث ، والصلة بينهما موثقة لأنها تحولت الى صلة التفهم المتبادل والاحترام لخصائص الفريقين

وجميع الذين زاروا تلك البلاد في العهد الحديث يعترفون بأن أول ما يسترعي نظرهم فيها ، هو التعاون الودي بين السلالتين ونبذ الشعور بتفوق احداهما على الأخرى وتعاظمها . فقد حلت المشكلة بالتفاهم والتعاون وحسن النية . فالمحاكم مفتحة ابوابها أمام سكان زيلندا الأصليين سواء أمدعين كانوا أم مدعى عليهم ، والعدل يجري بالتساوي على الجميع . وجميع وسائل المواصلات ممهدة لهم لا فارق بينهم وبين الغربيين الذين نزلوا في تلك البلاد . ومتاعد

المسارح مباحة فلم يجلسون فيها جنباً الى جنب مع اخوانهم في هذا الوطن الجديد. وكذلك مناصب الحكومة ومقاعد النيابة والوزارة . ولعل أدل الدلائل على هذا التصافي ان صفوف الجيش النيوزيلندي تجمع بينهم فتطبع هذه الدولة بطابع الدم . وقد نزل فريق مشترك منهم مصر في الحرب العالمية الماضية ثم جاء فريق آخر الى الشرق الأدنى من سنتين

عندما عقدت معاهدة وايتنجي من مائة سنة وسنتين كان عدد سكان المهاجرين الانكليز نحو الفين . فزاد عددهم الى أقل قليلاً من مليون ونصف مليون وسلالة الوردي في زيلندا الجديدة آخذة كذلك في الزيادة لان الدولة هناك تعنى عناية خاصة بتوفير أسباب الصحة والتوطها . ففي سنة ١٩١٦ كان عددهم نحو خمسين الفاً فبلغ سنة ١٩٢٨ خمسة وستين الفاً وكان قبل سنتين الى ثلاث أقل قليلاً من ٩٠ الفاً

***

أما الصورة التي تخرج بها من وصف البلاد الجغرافي، فهي صورة جنة من جنات الارض

فزيلندا الجديدة جزيرتان كبيرتان في المحيط الهادي الجنوبي ، موقعهما في القسم الجنوبي من الكرة الارضية كموقع بر الاناضول واليونان وايطاليا في القسم الشمالي منها من حيث خط العرض . ولو كانت ايطاليا قائمة وحدها لكانت في النصف الشمالي من الارض كزيلندا الجديدة في النصف الجنوبي . طول هاتين الجزيرتين معاً من الشمال الى الجنوب نحو ١١٠٠ ميل ومساحتهما اكثر من مائة الف ميل مربع او مثل مساحة ايطاليا . وتتبعهما جزائر اخرى صغيرة ومجموع مساحة الجزيرتين الكبيرتين والجزائر الصغيرة التابعة لهما ١٠٤ آلاف ميل مربع يقابلها ١١٠ آلاف ميل مربع لايطاليا وصقلية وسردينيا

والجزيرتان كثيرتا الجبال وفيهما كثير من الانهر والبحيرات والسهول والخلج . وكانت اوسعهما كلها مغطاة بالخلج قبل ان يدخلها الاوربيون ويعملوا الفأس فيها ، ولا تزال خلجها كثيرة واشجارها كبيرة ضخمة صلبة الخشب

تسمى الجبال في الجزيرة الجنوبية جبال الالب الجنوبية ويبلغ ارتفاع اعلاها ١٢٣٤٩ قدماً عن سطح البحر ، والثلج يغطي فمن أكثرها على مدار السنة . وتنحدر منها انهار جمد او ثلاجات كما تنحدر من جبال الالب في اوربا . ولكن انهار زيلندا الجديدة أكبر وهناك اودية عميقة وخدران كثيرة وشلالات يندر وجود مثلها في السكونة في جمال موقعها وفخامة منظرها

وقد لقيا جماعة من أهلها من الاوربي الاصل ومن الشرقيين الذين هاجروا اليها او زاروها من استراليا ، فسمعناهم يتغنون بمدحها ويقولون انهُ لا أجمل منها بقعة ولا أطيب من هوائها هواء ، وان مناظرها مثل مناظر سويسرا بل بعضها أجمل وأغرب . في الجزيرة

الشمالية منطقة بركانية فيها بحيرات حارة الماء ماؤها يغلي غليانًا ويطبخ به الطعام لشدة حرارته . وفي الجنوبية جبال شاهقة تحيط ببحيرات بلورية العفاء ، وعلى ساحل البحر خلجان صافية الماء تطلّ عليها ٥ واهق وعلى مقربة منها شلال منحدر ارتفاعه ١٩٠٠ قدم

***

كشف هذه الجزائر في منتصف القرن السابع عشر سنة ١٦٤٢ وكاشفها رحالة هولندي يدعى ابل تسمان ، واليه تنسب جزيرة تسمانيا القريبة من استراليا . وهو الذي سماها زيلندا الجديدة ، ومعنى الاسم الاوض البحرية الجديدة . ولكن ذكرها ظلّ مطويًّا وأخبارها مجهولة ، حتى زارها كوك الرحالة الانكليزي في سنة ١٧٦٩ وهي السنة التي نفحت العالم بعبقريين من عباقرتها العظام نبوليون بونابرت ، ومحمد علي الكبير . ثم تردد كوك عليها مراراً وطاف حولها واستلكها باسم الملك جورج الثالث ملك الانكليز ، وأدخل اليها بعض الحيوانات لتربيتها فيها وبعض المزروعات النافعة كذلك . ووجد سكانها الاصليين — وهم الموري — أصحاء الابدان يأبون الضيم ويحمون حماهم ويذودون عن حوضهم . وأرجف عنهم أنهم يأكلون لحوم أسراهم فهابهم البحارة وانقطعوا عن الذهاب الى تلك البلاد من حين زارها كوك الى سنة ١٨١٤ وحينئذٍ دخلها واعظ يدعى ماديسون لأجل دعوة أهلها الى المسيحية وبنى كنيسة وتبعه غيره فلم تمض ثلاثون سنة حتى تنصر السكان جميعهم وجعل الاوربيون يفدون اليهم للتجارة . وفي سنة ١٨٤٠ وقع الحادث التاريخي الذي أشرنا اليه عندما اجتمع شيوخ الموري وزعماؤهم وقبلوا عقد معاهدة مع الكابتن هوبسون ممثل الملكة فكتوريا . وعندما عرضت المعاهدة أعلن الكابتن هوبسون ان الملكة تعرض عليهم جميع حقوق رعاياها البريطانيين ومزاياهم . ومما يدل على استقلال الموري على الرغم من تأخر حياتهم الاجتماعية حينئذٍ ان ترجمة المعاهدة تليت عليهم فتناقشوا فيها طويلاً قبل توقيعها . وبمقتضاها أصبحت زيلندا الجديدة جزءاً من الامبراطورية البريطانية

ومما يستوقف النظر في هذه المعاهدة وما تلاها ان الحكومة البريطانية اعترفت بامتلاك السكان الاصليين لجميع الاراضي التي قالوا إنها لهم ولم تؤخذ منهم أرض إلاّ ما تنازلوا عنهُ على اختيارهم أو ما باعوه بالثمن

ولكن البلاد واسعة جداً ولا سيما اذا قيست بعدد سكانها ، فمساحتها أكثر من ستة وستين مليوناً من الافدنة ، ثلثاها أو أكثر من الثلثين قليلاً اراض زراعية ومراعٍ خصبة ، وسكانها الاصليون الى قبل سنتين لم يزيدوا على تسعين الفاً وسكانها الذين من أصل اوربي لا يبلغون الاّ مليوناً ونصف مليون على الأكثر

ويضاف الى هذا ان الانكليز الذين هاجروا اليها جاءوها على العالب من أسر عريقة . جاءوها اولاً اما تجاراً فاستوطنوا ، واما مغامرين فاستقروا ، واما لأن الأرض القديمة ضاقت بهم فطلبوا حياة جديدة في أرض جديدة فوجدوها هنا . ففي زيلندا الجديدة نحبة من السلالة الانكليزية الكلتية Anglo-Celtic قطعت البلاد بقيادتها ومعاونة سكانها الاصليين شوطاً بعيداً نحو مثل المعيشة القومية الكاملة . فالصحة فيها متوفرة الاسباب . اقليم معتدل وعناية تامة . ان معدل وفيات الاطفال فيها أقل منه في أي بلد آخر في العالم . واحتمال طول الحياة فيها يبلغ ٦٣ سنة وهو كذلك أطول معدل في العالم . واذا قيست منتجاتها الزراعية بمساحتها صح عليها القول بأنه « معمل ألبان الامبراطورية » . واذا نسب عدد ما فيها من الأغنام الى مساحتها فان معدلها يفوق معدل استراليا تسع مرات . انك تجد ربع أغنام العالم في هذه البلاد الصغيرة . ولعلها كانت أسبق الامم الى منح النساء حق التصويت والانتخاب . فقد منحن حق التصويت سنة ١٨٩٣ ثم منحن حق الانتخاب لعضوية مجلس النواب سنة ١٩١٩ . ثم ان الحكومة تنفق كل سنة نحو ثلاثة ملايين جنيه على التعليم في شتى انواعه ، مع ان عدد السكان لا يكاد يبلغ مليوناً ونصف مليون . حالة انها انفقت على الدفاع البحري والبري في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ أقل من مليون قليلاً . وللتعليم في زيلندا الجديدة ان يفاخر العالم بعبقرية علمية من الطبقة الاولى في العصور الحديثة لانه أنجب ارنست وذرفورد الذي رحل الى انكلترا بعد تخرجه وتوسع في دراسة العلوم الحديثة في كمبردج ثم درّسها في كندا ومنشستر فغدا عند عودته الى كمبردج استاذاً للطبيعة واكبر زعماء الباحثين العصريين في أسرار الذرة وتركيبها

***

موارد البلاد الاقتصادية عظيمة . وهي زراعية في المقام الأول . الماشية والاغنام فيها كثيرة تعد بعشرات الملايين . وصناعة الالبان متقنة متسعة . وجزة الصوف السنوية تضعها جنباً الى جنب مع استراليا في مقدمة بلدان العالم انتاجاً للصوف . وتبلغ قيمة ما تصدره من الصوف والزبدة واللحم المثلوج والجبن ٣٥ مليوناً من الجنيهات كل سنة او تزيد

وأشهر معادنها الذهب ، بل ان البحث عن الذهب فيها كان من عوامل زيادة سكانها في النصف الثاني من القرن الماضي ، ومع ان انتاجه قل الآن عما كان عليه . الا ان ما استخرج منه في سنة ١٩٣٤ بلغت قيمته مليوناً وثلث مليون من الجنيهات ومنها الفضة والنحم

ولكن الذي يهمنا في زيلندا الجديدة ويعنينا اكثر مما تعنينا مواردها الطبيعية هو بعض العبر المستخرجة من حياتها الاجتماعية . فثمة اولاً عناية دقيقة شاملة بالصحة الفردية

والعامة . حتى غدت قلة معدل الوفيات بين جمهور الشعب، وبين الاطفال، مضرب المثل في دوائر العالم الصحية . ثم هناك المعاشات التي اقرتها الحكومة للشيوخ والعجائز والارامل وملوائف من المهال والمحاربين القدماء . ففي قانون صدر سنة ١٨٩٨ وعدل مراراً بعد ذلك يعطى كل نيوزيلندي توافرت فيه شروط معينة معاشاً سنوياً قدره ٤٣ جنيهاً اذا كان دخلهُ السنوي لا يزيد على ٤١ جنيهاً . ففي بلد هذا نظامه يجب أن يكون مستوى المعيشة عالياً حتماً . ثم هناك نظام خاص لاعانة الاطفال اذا كان دخل الاسرة التي يولد فيها الطفل غير كاف للعناية به على أوفى وجه وتنشئته اطيب تنشئة ، ولهذه المسائل قواعد ولوائح تجعل التشريع الاجتماعي في زيلندا الجديدة من أرقى وأوفى ما عرف في العصر الحديث

وقد بلغ عدد الذين استفادوا من المعاشات بأنواعها التي توزعها الحكومة طبقاً لقوانينها ولوائحها من شيوخ وعجائز وأرامل ومعدمين وغيرهم ٨١ الفاً — من مليون ونصف مليون — في سنة ١٩٣٥ وبلغ مجموع ما نالوه في تلك السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ، ومجموع ما تنفقه الحكومة على المعاشات والتعليم والصحة يبلغ نحو ثمانية ملايين من الجنيهات من ميزانية قدرها ٢٥ مليوناً أي ان ثلث الميزانية ينفق في هذه الاغراض الاجتماعية النبيلة

وعلاوة على ما تقدم كانت زيلندا الجديدة أول بلد في العالم حاول ان يفض المنازعات الخاصة بعمال الصناعة بواسطة المحاكم فعرفت بوصف البلد الذي لا يحدث فيه اضراب

***

أما نظامها السياسي فيلخص في أنها ظلت مستعمرة بريطانية الى سنة ١٩٠٧ عندما تحولت من طبقة المستعمرات الى طبقة بلاد الدومنيون المستقلة في نطاق جامعة الأمم البريطانية، فغازت باستقلالها الداخلي وتدبير شؤونها. وبعدما وضع مبدأ قانون وستمنستر في سنة ١٩٢٦ وأقر في قانونه النهائي في سنة ١٩٣١ غدت زيلندا الجديدة، كاستراليا وكندا وجنوب أفريقية ، دولة مستقلة بكل معنى الكلمة لا يربطها بالمملكة المتحدة « أي انكلترا وويلز واسكتلندا وشمال أرلندا » وسائر بلدان الدومنيون الا رابطة الولاء للتاج البريطاني ممثلاً شخصياً في الحاكم العام . فعلاقة الحاكم العام بحكومة البلاد ومجلسها النيابي ، كعلاقة الملك في لندن بحكومة انكلترا وبرلمانها ؛ أي أنهُ يعمل بمشورة حكومته المؤيدة من حزب الأكثرية في البرلمان . وليس لبريطانيا او لاحد بلدان الدومنيون سلطان على بلد آخر منها في شأن ما من شؤون السياسة الداخلية والخارجية

آراء قديمة وحديثة في :

تأثير الغذاء في الطباع

للدكتور عبده رزق

إن تأثير الطعام في صحة الانسان العامة لا يقتصر على المقدار بل يشمل النوع كذلك . وفي ذلك قال الفيلسوف بورفيريوس Porphyre (٢٣٣ — ٣٠٤م) : « ليس بين النباتيين والذين يتناولون الاطعمة البسيطة نشاهد الطغاة والقسوس والساحين، بل بين آكلي اللحوم. وقد دلنا الاختبار على ان الاطعمة النباتية هي أقدر وأجدر من سواها ليس للحصول على صحة عمومية جيدة فحسب ، بل أيضاً على ادراك صحيح وعقل متزن » وكتب في الموضوع نفسه الفيلسوف الروماني سنكا Seneca (٤ ق.م—٦٥م) ما ترجمتهُ : « وأنا أيضاً قد تركت عادة تعاطي اللحوم . . . وبعد سنة واحدة على انقطاعي هذا أصبحت عاداتي الجديدة سهلة لذيذة سلسة ، وتبينت علاوة على ذلك ان قواي العقلية قد اطرد نموها »

ويؤخذ من تجارب متعددة جربت في أيامنا هذه بالجرذان التي أعطيت الخبز والخضر غذاء لها ان هذه الحيوانات غدت أهدأ طبعاً وأسهل انقياداً وأميل الى اللين . وبالعكس أصبحت شرسة متوحشة قارضة مؤذية عندما أخذت تتغذى باللحوم . وكذلك الحيوانات الأخرى كالدببة في حدائق الحيوانات وغيرها فهذه تكون هادئة وادعة ما دامت تتغذى بالخبز والخضر، ولكنها تغدو مؤذية خطرة عندما يقتصر طعامها على اللحوم . ويذهب بعضهم الى ان نوع الغذاء وحده كان كافياً لتحويل الذئب او الهرة المتوحشة من الضراوة الى الألفة والدعة

أضف الى ما تقدم ان كثيرين من العظماء والادباء والمفكرين أمثال نيوتن الذي جاوز الثمانين في العمر ، وفولتير وفرنكلين وجان جاك روسو ولامرتين وميشلة وغيرهم كانوا من النباتيين وطعامهم كان مقتصراً على الخبز والبقول والخضر والماء . وقد جربت تجارب متعددة بطائفة من المجرمين في سجون الولايات المتحدة الاميركية ، فأعطوا حساء مطبوخاً بالذرة بعد اضافة نوع من الدبس اليه ، فظهر ان طباع هؤلاء المجرمين قد تحسنت تحسناً محسوساً وأمسوا بعدئذ أهدأ خلقاً وأسهل انقياداً مما كانوا عليه قبلاً

نستنتج مما تقدم ان الاطعمة النباتية لا تدخل في الجسم مواداً سامة أو مهيجة للاعصاب كما تدخله فيه اللحوم او الاطعمة الزلالية . اما قول بعضهم إن الانسان الذي

لا يأكل قطعة لحم في كل أكلة لا يمكن ان يحافظ بصحته ويصبح غير صالح للعمل ، فهذا لا سند له من العلم . صحيح ان للحم مقاماً بين الاغذية وهو يولد في الانسان نشاطاً غير عادي بعد تناوله ويغري آكله بالافراط في أكله ، غير ان هذا النشاط في حقيقته ليس الا تهييجاً مؤقتاً لا يلبث ان يعقبه انحطاط . وهذا التهييج من أكل اللحوم أشد خطراً من تهييج المواد الغذائية الاخرى لان هذه لا تترك مخلفات في الجسم ، اما اللحم فلا يحترق الا احتراقاً جزئياً وينتج من ذلك مركبات سمية كالحامض البوليك وهو لا يتفرز كله فيكسو العضلات والمفاصل بادران قتالة تسمم الاعضاء

أضف الى هذه الاضرار الناشئة من تناول اللحوم مضاراً أخرى تنشأ عن اكل لحوم حيوانات كانت قد تعبت قبل موتها فتحتوي انسجتها على سموم شديدة الفعل . وكذلك تناول لحوم الجلاتينية واللحوم البيض الحاوية سموماً في مادتها الحيوية . غير انهُ يجب القول هنا ان اكل الاطعمة النباتية دون سواها من شأنهِ أن يضعف تدريجاً مع الزمن ، قوى الجسم العامة ، ولاسيما الارادة . وكما ان الاسراف في تعاطي المواد الزلالية او النتروجينية مضر جداً بسبب عدم احتراق هذه المواد احتراقاً كافياً في جسمنا وعجز الجسم عن اخراج مخلفاتها ، كذلك الانقطاع عنها بتاتاً لا يصح بوجه ما عند معظم الناس . ولهذا ينبغي على الانسان أن يأكل تلك المواد بحذر ويختار من الطعام ما يوافق دواعي صحته والعيشة الصحية التي يحياها اكثر الناس الآن في البلاد المتمدنة . وبوجه عام لا يحسب حساب كاف لهذه الامور في طعام الانسان لانهُ ، بحسب طبعهِ ، لا فرق عنده بين التغذي بهذا الطعام وبين التغذي بغيره . ومما يجدر ذكره هو ان العصبيين ومريعي التأثر وذوي الطباع الحادة وقلال الصبر يجب أن يقتصروا ما أمكن على الاطعمة النباتية او ان يتناولوا جداً من تعاطي اللحوم . اما ذوو الامزجة اللمفاوية ، والذين فيهم ميل الى التراخي وبطء الحركة الخ فيحسن أن يدخل اللحم في طعامهم

ويقول احد الاطباء الانكليز ان لحم بعض الحيوانات : كالثيران والخنازير والغنم والعجول له تأثير خاص في طباع الانسان . فلحم الثور مثلاً — بحسب قوله — يجعل المرء مع الزمن نشيطاً قوياً شجاعاً ، ولحم الخنزير يؤدي الى الاصابة بالملانخوليا . وهكذا قل عن لحم الغنم فهو يؤدي ايضاً الى نفس النتيجة . اما لحم العجول فيزيل من الانسان كل قوة وحماسة حتى ان الذي يتعاطى هذا اللحم يكون ضعيف الذاكرة والارادة ومنحط الحالة الجسدية والعقلية

وهناك طبيب انكليزي آخر يقول ان النساء اللائي يردن ان يكنَّ حائزات على صفات الاناقة واللطف والكياسة ما عليهنَّ الا ان يكتفين بأكل لبن الحليب والبيض أما الافراط في تناول الزبد والبطاطس فيجعل الانسان خمولاً كسولاً ، وان تعاطي التفاح يساعد كثيراً ذوي الاشغال العقلية على العمل ، والكرنب يحفظ الذاكرة . والمعلومات الاخيرة نوردها هنا بكل تحفظ

حديقة المنتطف

رابندرانات تاجور

الفصل الثالث

مدرسة تاجور

لمحمود المنجوري

مدرسة تاجور

— ٣ —

محمود المنجوري

ويلتفت تاجور ، بعد اذ يقرر ان المدنية الهندية انما نشأت في الغابة مستمدة حريتها وتفكيرها وعناصرها ومقوماتها من حقائق الحياة البشرية التي لا تحدها اسوار المدينة ولا تكتنفها حدود الممالك الموضوعة ، يلتفت تاجور بعد هذا الى المدنية الغربية فيقول :

« وترى الغرب قد أخذته العزة كبراً ، فيحسب ان الشرق يعيش كلاً على الطبيعة ، تغالبه فتقهره ، كأنه وإياها في خصام دائم ، وإنما لين تنيله من أمره شيئاً ، إلا ما قد يقتضيه منها اقتضاباً ، وانه مهما عنى عن هدى أو تفاهم ، إلا بالقدر الذي يحرفه الشرق عن حقائقه وأوضاعه »

هذا هو وحي المدنية الغربية ، المدنية التي نشأت بين الجدر والاسوار ، والتي لا تدع للشعور نمواً ، ولا تترك للتفكر مجالاً للسمو في آفاق غير محدودة

« في حياة المدينة ترى الانسان قد جبل على توجيه قواه العقلية في مجرى حياته الخاصة ، وشئونه التي تتصل بمطامعه — وهذا الجهد يقيم فاصلا مصطنعاً ، بين روح الفرد وبين الطبيعة الجامعة التي تحتضنه وتؤويه

« ولكن وحي الهند مختلف عن هذا الذي يوحي به الغرب ، إذ أنه يضع العالم قلب الانسان ، وينظر اليهما كحقيقة واحدة كبرى ، وتلك الهند تعتد بالانسجام الكائن بين الفرد والجماعة ، وتشعر بأن الانسان قد لا يتسنى له حوله من كائنات ، اذا لم تقم بينها الالفة والتفاهم الصحيح ، وان الامة الانسانية من الطبيعة تقوم دائماً في الشكوى من أنه لا يحسن على الغالب من مطالبه وضروراته منها إلا بمجهود الخاصة ، فمكي يكتسب لا بد ان يعمل ويجهد ، هذا حق ، إذ ليست جهود الذاهبة هباء ، أو عبثاً ، انه يجبي كل يوم ثمرة النجاح ، وهذا يدل على وجود رابطة عملية بينه وبين الطبيعة ومع هذا فان كائنات ، فلا يمكن ان نجعل شيئاً في حوزتنا مالم يكن قد أصبح متصلا بنا تمام الاتصال » (١)

فتاجور يرد كل مدنية الى طبيعتها ، ويرى ان حضارة الغرب نشأت نشأة تدعو الى الانانية ، لانها نشأت محصورة في مطالب الانسان الذي جنى على نفسه ، فحدد تفكيره بحدود مصنوعة ، وقيد مشاعره بأوضاع ضيقة ، فنشأ وهو يشعر بأن الطبيعة خصم له ، عليه ان يفكر في اخضاعها واستغلالها لرغباته ومطالبه ، وان هذا العالم لا بد ان يتغلب هو عليه ليقهره حتى يسوده — بينما الحضارة الهندية على نقيض هذا ، نشأت في حرية لا حد لها ، وكان مهمة العقل الشرقي ان يدرك من الحياة حقائقها ، لا ان يبسط عليها نفوذه ويناضلها العداء ، وهو هذا

(١) بيتها ... ص ١

منظر الى ان يوثق العلاقة بين نفسه وبين الطبيعة ، وينفي عن نفسه هذه العزلة وهذه الوحشة التي تدعوه الى التفكير في السيطرة والسيادة والشعور بالفردية ، وهو لهذا يشعر في نفسه بوجوب الاندماج في العالم ، يبادله حبًّا بحب ، وعطفاً بعطف ؛ فهو عندما يسخر الطبيعة ، لا يسخرها لانهُ قهرها وأذلها ، ولكن لانهُ فهم منها أسرارها فأحبها ، وشعر في نفسه بأنهُ منها وأنها من ذاتهِ ، وألاَّ حواجز تحول بينه وبينها ، فهو لا يفرق بين ما هو انساني متصل بنفسه ، وبين ما هو طبيعي متصل بالكائنات ، بل هناك وحدة تجمع الكل في رباط واحد ، هناك قوة الله التي خلقتنا وسخرت بعضنا لبعض لمناصرة التفكر والعقل والحياة والحرية

والحضارة الغربية قد وضعت العلوم ، وسخرت العقل البشري لقهر الحياة واذلال الطبيعة ، بينما نرى الحضارة الشرقية فيما يقرره تاجور في قوله :

« إن ادراك العلوم الطبيعية يجب ان يلهم نفوسنا المسرة بالمعرفة والبهجة بالحياة وأسرارها . يجب ألا تتدنا الى المعرفة بالعلوم الطبيعية طلعة الانانية ولا نهم الكسب المادي ، من تسخير الطبيعة ، ولكن يجب ان يتدنا اليها ما نتوخاه لها وتحققه ، يتصور عاطف متبادل بيننا وبين الطبيعة ، فيفيض علينا فيضاً غزيراً من السرور والصفاء — إن العقل العلمي لا يتردد في الاعتراف بأواصر القربى بين الانسان والطبيعة ، ويرى ان وحدة الكون جوهرية ، يجب ألا تكون موضع تفكيره او تأمله الفلسفي فقط ، ولكن يجب ان تكون وحدة الكون غايته من الحياة ، يتوخاها بالجهد البذول ، بالشعور والعمل » .

فمدرسة تاجور ، تدعو الى رفع الفوارق بين الانسان وبين الطبيعة ، وتعتبر بحكمة الهند التي تقول بعدّ الدنيا والانسان حقيقة خالدة واحدة ، وفي هذا يقول تاجور :

« كم يكون الانسان في غيبة من النعيم اذا هو لم يحقق صلته بالعالم ، وكم يكون حراً مطلقاً عندما يتعرف الروح الخالدة الكامنة في الاشياء التي حوله . عندئذ تنكشف له الدنيا أبداً رؤوفاً ، في أروع معاني الرحمة والاحسان والعطف ، وعندئذ يشعر الانسان بأنه في فيض كامل من الحق ، وان النعيم به بالمخلوقات والآفاق قد تم »

فالطبيعة والانسان في نظر الشرق كائن واحد ، ولا يمكن للفرد ان ينقطع عن العالم ، بل هو موصول به روحيًّا ، وفي هذه المعاني يقول تاجور :

« إن الفرد لا يمكن ان يعيش انساناً فقط ، بل عليه ألا يهمل مكانه من الطبيعة الجامدة ، والا أرهق أعصابه ، إذ لم يأخذ مكانه من اللانهائية ومطالب الروح . ويجب عليه ان يعلم انه وان جاهد ، ويذل في الحياة ما يذل ، فان يخلق عناصر وجوده في ذاته من نفسه ، وان يكون كالنحلة تدبر عساها من جهدها طعامها طول العام ، فان الانسان لا يمكن ان يعيش على ما في جسده من مخزن ، ولا بد من مدد موصول به حوله من الخارج ، يجب ان يدرك انه اذا ما حبس نفسه وقصر على الانساني بالعمل وبالانسانية ، واذا ما عكف على نفسه يجتر الذوت ويلتمس منها الغذاء ، ردَّت نفسه الى العطب ، وتمزقت إرباً ، وأكل بعضها البعض الآخر ، فهو مفتقر الى ما حوله من عناصر الحياة الاخرى ، هو مفتقر الى ان يحاط حياته منها ، فان انقرعت عنه ، حرم القداسة ، وأصبح ثانياً كرحى يعاب . وتجردت ثروته الروحية من الزوجة وعزة النفس ،

وامدفعت نفسه تشعر في السمو والاسراف ، وقد انقطعت بها وشيجة الحياة الجامعة ، فتصبح الشهوة غاية له في ذاتها ، وتصبح ، ثانيا ، ثم ينقلب الى نار تلتهم كل ما حولها ، ثم يكفهر غيما . فتأتي على نفسها ، وتصبح حياة الفرد مفزعة مخيفة » (١)

وتدعو مدرسة تاجور الى تعاون المدنيات على الخير والبر والسلام بأن تتلاقح هذه المدنيات بعضها ببعض ، لتوليد ثقافة عالمية ، لا يشعر فيها الانسان بنفور او بؤس او فاقة روحية ، فالحضارة الانسانية ، التي لا تعرف الوطن ، ولا اللغة ، ولا الجنس ، ولا اللون ، هي رسالة مدرسة تاجور ، التي يبغي ان تعم الدنيا وتشمل الوجود ، ولابد للوصول الى تحقيق هذه الرسالة من ان يشعر كل فرد بالتوافق الروحي مع ما حوله في العالم

« إن قلب الانسان ، هو هذا المكان المقدس ، الذي يشعر منه بالتوافق الروحي ، بينه وبين الاشياء التي تحوطه في العالم ، حيث تلتئم روحه بروح الدنيا . إني لا أستطيع أبداً ان أتخذ الاشياء على غير هذا الوضع ، وانها لمضيعة للغرض حقاً ، لو استمسك التاريخ بإعادة نفسه ، وتكرار احداثه ، على شاكلة واحدة لاتتغير . وانه لخير للروح العامة ، ان يلتئم الناس على اختلاف أقدارهم في سوق البشرية ، عارضة منتجاتهم الروحية والفكرية المختلفة ، لان بعض الانتاج هو في الحق متمم وضروري للبعض الآخر ، إن كل ما أرغب القول فيه : هو ان الهند قد أهلت لي مطلع وجودها ونشوء اتجاهها على أحداث ملائمة ، كان فيها الخير والبركة ، فاستغلتها فرصة متاحة للتفكير وإنعام النظر ، والكد ، ومجالدة النفس ، فسرت أغوار الوجود ثم أنجزت من هذا البذل الروحي شيئاً له قيمته للبشر ، خلك بالتاريخ البشري طرائق متباينة ، ولكنها طرائق تدعو الى تكوين انسان كامل نال نصيبه من جميع المدنيات . فلكي ينمو الانسان نمواً كاملا ، لابد له من تلبية ما يحتاج اليه تكوينه من العناصر ، والمواد الحيوية المختلفة التي تدير حياته المركبة . فغذاؤه إذن يجب ان يكون مختلف العناصر مجلوباً اليه من حقول متباينة التربة

والحضارة توالب وقيم ، يجهد كل شعب في ان يهيء له منها ما يصلح ، لتخريج أناسه ، رجالا ونساء ، في أوضاع ، طبق مثله التي يؤثرها تكوينه ، وكل شعب يرعى فيه حضارته وقوالبها ، في جميع نظمه وكل تشريعه وتقنينه ، والتحديد مستوى الجزاء والعقاب ، بل ان الحضارة لتبسط ولايتها على ما هو أبعد من التشريع والتدوين ، فلها الولاية على الوجدانيات ، وما تساعره الطاعات والاقراد من أحاسيس ومشاعر مختلفة

ونجاهد حضارة الغرب بما اختزنت من قوى ، لتجعل من البشر أناساً يسيطرون على الطبيعة لانهم أوتوا من عقول وبسط في النفوذ ، وتدعو الى ان يبسط الشعوب بأيديهم ، الى بسط قوى الانسان على ما حوله من كائنات ، والى ان يعقد الفرد مواهبه الوصول الى حق الملك والسيطرة لاخضاع الحياة واستثمار ما بين يديه وما تختفز من قوى ، وامتلاك كل هذا للغلبة والانتصار على الطبيعة — فالمدنية الغربية تهيء الفرد ليعد نفسه ليكون حرباً على غيره ، وخصماً مجاهداً للطبيعة وسائر الانواع ، وليعد ما استطاع من قوة وذخر وسلاح لادلال الحياة »

هذا هو رأي تاجور في الحضارة الغربية بينما يرى ان في حضارة الشرق المعالي السامية التي تسع الحضارة العالمية التي ينشدها

« وأما حضارة الهند القديمة فقد اتجهت الى مثل عليا ، الى هدف آخر غير الذي ترمي اليه حضارة الغرب ، بذلت في سبيله جهودها كلها . فلقد أهلت ما عني به الغرب : من احراز للقوة وبسط للسلطان ، ولم تدعم فيها بوسائل الهجوم أو الدفاع المادي ، في سبيل حيازة الثروات ، وجلب الاموال ، او فرض النفوذ السياسي على

(١) سعد هاتا

الغير . . . لقد تحمت الحضارة الغربية الى الفوز بمجدها عن طريق اثارة الروح والتأمل وادراك الوحدة والاستغراق في البحث عن المعنى ، فحجبت كنوز المعرفة وقدستها فقد للبشرية ؛ هدية كريمة ، كمدنية روحية — كما قلت انني — ان نزعة الطموح البشرية هي ما تبغيه الحضارة الغربية » (١)

يلتفت تاجور بعد ذلك أبان الفروة بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية ، يلتفت الى دعوته التي جاء برسالتها ، مؤمناً بها عاملاً لها ، فيدعو الكافة الى مدنية عالمية ، لا أثر للجنس ولا للون ولا للغة فيها . وهو يدعو العالم عن طريق الحقوق الفطرية التي للانسان ، وعن طريق الوحدة الروحية التي جهد في اقناع العالم بانها الدعامة القوية التي يجب ان تنهض عليها حقوق الانسان في الحياة دائماً ولم يدعهُ عن طريق العقل والتفكير وحدها

ان تاجور يريد ان يظهر المدنية الغربية مما هي عليه من أسس عنيفة منحرفة عن طبيعة السمو والحياة ، ويراها مدنية قامت على قيم من الاثرة والحرب والغلبة وانكار الحقوق والاستهتار والابتعاد عن مطالب الروح والاندماج في المادة والالحاد — فهو بهذا يعمل على انقاذ الجنس البشري بتوجيهه الى المدنية الفاضلة المستقيمة فهو يأبى العنف ، وينكر الحرب ويمقتها مقتاً كبيراً ، ويرى الامة التي لا تستطيع ان تعيش الا بحماية سلاحها أمة مريضة الروح ، لا تعيش الا على مادة الجسد وحده ، ولم جلست حسرته وانهمرت دموعه يوم زار اوربا عقب الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) ويوم رأى ارضها غارقة بدماء الملايين من البشر ، ويوم سمع صوت الجندي المجهول يئن ان التخذوني رمزاً للغدر والتقتيل ولا تتخذوني رمزاً للتضحية والوفاء . كم بكى يوم رأى اوربا متشحة بالسواد بعد حرب طاحنة أثارتها اطماع افراد من القادة والزعماء . وكم رفع أكفه الى الله طالباً المغفرة يوم أيقن ان شروط السلام التي وضعت ، والتي سارت عليها اوربا بعد هذه الحرب ليست الا اسباب حرب جديدة ستضع اوربا والعالم جميعاً فوق بركان جهنمي لا يهدأ ، أيقن تاجور بعد ان زار اوربا ان المدنية التي تتخذ الحرب ظاهرة جوهرية لوجودها لا يمكن ان تكون مدنية خالصة لله فيها صوت او فكرة او دعوة من روحه ، وان مدنية لا تقوم الا على أسس الانانية والاثرة التي يحميها السلاح والغاز الخانق ، انما هي مدنية عارية سنأكل عناصرها كما تأكل النار نفسها يوم تزول . ولقد حاضر تاجور شعوب اوربا وأميركا ، وقذف في وجوههم كلمة الحق وآراءهم نفسها وحوش في دُثر من الانسانية ، وأطلعهم على صور جميلة من نفسية الشرق ، صور الحب وادراك الحق والجمال ، والتعاون الروحي ورتل فيهم اغانيه الخالدة ، فعلت وجوه الملوك والامراء حسرة وكآبة ، اذ حمّلهم مسئولية ضياع الارواح البريئة في الحرب

(١) كانت تاجور قد ردد في هذا الفصل مقتطفات من محاضرة له ألقاها في مدرسته ونشرها في الفصل الاول من كتاب سماه « بضع دراسات عن علاقة الفرد بالعالم »

الماضية ، وأكد لهم ان الفائز في تلك الحرب انما هو خاسرها الفاشل ، وان الضحايا ستثأر وتنتقم في يوم قريب . ولقد هاله من أمر اوربا ان راها قد أسرفت في الاثرة والانانية وفي العصبية الجنسية الى أبعد حد نتيجة لفوضى الحرب التي خلّفت مبادىء اقتصادية وخلقية لا تستقيم مع سلامة الحياة وحريتها ، وأكد لهم ان اعصابه لا تقوى على احتمال التفكير في نتيجة هذه العصبية ، لأنها ستؤدي الى حرب أشد قسوة مما سلفت ، الى حرب حيوانية ، بعيدة عن القلب والروح ، لأنها حرب العصبية والاجناس ، وان المدنية الغربية سائرة الى الانقراض كلما ابتعدت عن روح الشرق الكبير الذي يدعو الى الوحدة الروحية والسلام والمحبة .

ولقد تأثرت اعصاب تاجور يوم علم بان اليابان قد اجتاحت جارتها الصين ، وبكى لانهُ شهد اليوم الذي اصيب فيه الشرق بروح الغرب القاتلة المريضة ، واما الحرب الحديثة[1] فقد لحقته مريضاً يعاني آلام الاعصاب ، ولكنها ولا شك كانت امراً يتوقعهُ نتيجة للوضع الاوربي الذي نشأ بعد الحرب الماضية

ولقد سمعت تاجور وهو يحاضرنا ، يوم احتفلنا به بعد زيارته لأوربا في فندق شبرد في ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، وهو يقول :

«لا أشك مطلقاً في ان قد وجدت أمم من قبل ثم بادت فانية من حروب طاحنة في سبيل أغراضها . ولا تزال الآن في مجاهل أفريقيا أمم تسير في طريق الفناء ، وأمم الغرب ، على ثقافتها ، لاتقل في هذه الناحية جهلاً بالوحدة الروحية عن هذه الشعوب المتفرنجة ، لاخذها في حياتها بخطة الاثرة وبعد الحرب والسلاح ضماناً للسلام الاجتماعي ، بل ان الامم الغربية ترى كما ترى هذه الشعوب ان الغزو والتدليج ضرورة لبقاء الحياة . ولئن كان هذا ممكناً تصوره يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تفصل بين الامم والقبائل ، وتجعل كلا يعتز بكيانه ونفسه ، وتجعل لون أصحابها وسيلة للحرب من كانوا من لون آخر ، فلم يبق لهذا التصور اليوم من سبيل ، بعد ان أصبحت الحدود الطبيعية لاحقيقة لها لاسباب أهمها تقدم المواصلات وسرعتها ، والتمازج الحتمي بين الامم . لهذا يجب ان تنمحي الاثرة ، وان يزول التعصب للجنس واللون . ويجب ان يشعر العالم ان هناك وحدة روحية تربط أمم المختلفة

ولقد أنست في أثناء سياحاتي في البلاد المختلفة ، في كثير من المفكرين ، اتفاقاً وإياي في الرأي ، وثقة تمثل ما أثق به بأنه سيأتي يوم تسود فيه هذه الفكرة جميع الشعوب . ولقد احتفل في البيطاء السنج من الناس في بلاد شتى ، لانهم أحسوا في كتاباتي الدعوة الى هذه الوحدة الروحية التي تصبو اليها نفوسهم

وأما الوسيلة لغير الانانية وإزالة التعصب الجنسي فليست هي الحديد والنار ، وانما هي في انتشار الافكار السليمة بين الشعوب وسعيها جميعاً لادراك الحقيقة ، فهذه الحقيقة ، الحقيقة المجردة ، الحقيقة المطلقة ، يجب ان تكون غاية الغايات ، لكل شاعر ولكل مفكر ولكل مصلح اجتماعي ولكل فيلسوف ، ويجب ان تكون غاية الغايات للانسان الكامل ، ويوم يأتي الوقت الذي يعمل فيه كل لمعرفة الحقيقة فاذا رآها لم يتردد في اعلانها يومئذ يكون الانسان قد وصل الى الكمال حقاً ، وفي هذا اليوم يتم السلام على الارض . إن السلام لن يترتب على عمل صناعي مظهراً كالاتفاقات الدولية وما اليها من معاهدات ومؤتمرات لنزع السلاح . انما الوسيلة الوحيدة لتحقيق السلام هي الوحدة الروحية . فهل ترانى قد أحسست بأن هذه الوحدة قد بدأ ظهورها في العالم بعد انتصار بريطانيا للحرب وتسميرها ؟ »

(١) الحرب التي نشبت في سبتمبر سنة ١٩٣٩

في هذا الخطاب الوجيز يلخص تاجور دعوته إلى المساواة ، فيقول : « يجب ان تنمحي الأثرة . وان يزول التعصب للجنس والوطن ، لانه وجد المدنية الغربية تنهض على هذه الأخطاء ولانه يخشى ان تنهار هذه المدنية ، وفيها الكثير من ثمرات الفكر البشري ، وما يعد ضياعه خسارة لكنز بشري ثمين قد لا يعوض في اجيال وقرون

ولقد عارض فيلسوفنا ، بهذا المبدأ السامي مذاهب المساواة التي يؤمن بها العالم المتمدن في القرن العشرين ، وهو وان لم يكتب رسالته في تفصيل علمي على نحو ما يكتب علماء الاجتماع بحوثهم الآن رسالته الروحية تؤدي الى وضع المساواة في نصابها الحق ، ولانه يريد ان يبتعد عن الاسلوب العلمي لما يحتاج اليه من مغالطات في المنطق ، لان دعوته روحية لا تحتاج الى غير الاخلاص في الأداء والايمان بها

فعلماء الاجتماع والفلاسفة الذين نظموا مذاهب المساواة ، وقرروا استحالتها بين الامم والشعوب ، هم صورة للمدنية الغربية المنهارة ، بينما نجد تاجور صورة للشرق الكريم الذي يبشر بدعوة روحية ان سلكتها المدنية البشرية كانت المدنية الفاضلة التي تستمد كيانها من عناصر السماء والروح

ولكي نفهم رسالة الفكرة التي ترمي اليها رسالة تاجور « رسالة الشرق » ورسالة الوحدة الروحية والمساواة ، يجب ان نلم بما يناقضها من مذاهب المساواة في مدنية القرن العشرين ، وهذه المذاهب هي رسالة الغرب انهار

ولعل رسالة الغرب تتلخص في فلسفة نيتشه ، وفي العلوم التي حاول جوستاف لوبون ان ينظمها في ابحاث طلية . لقد أراد حقا ان يؤسس مدنية الغرب على اسس من الانانية ، وقد رسمها رسماً صحيحاً في اساسها واوضاعها ، دون كذب او ملق ، لانهما يؤمنان بدعوتهما ، كايمان تاجور الكريم بالدعوة التي تناقضها . فنيتشه وجوستاف لوبون صورة للغرب ، لا يؤمنان بحق للانسان الضعيف ، ولا للانسان المحروم من القوة ، ولا للانسان الذي لم تهيىء له الطبيعة أن يكون من جنس اوروبي أو لون من ألوان الشعوب الاوروبية — هما رجلان لهما نزعة الاستعباد ، يريان من حق القوي أن يأكل الضعيف ، احدهم يقيم آراءه على علوم كانت مبتسرة الى زمن تقرير هذه الآراء ، بل انه اتمها مغالطة منه . فهو يبني بحوثه على علم « الانثروبولوجيا » اي علم دراسة الانسان على مجموع العلوم النفسية والتشريحية والوراثية . فهو لهذا يحدد ويرتب الناس ، ضوائف وأجناساً وأنواعاً ويناقش نظرياته الاجتماعية على ضوء ما يتباين وما يتحد من صفات هذه الاجناس البشرية . وهو من هذا يصل الى أن الاختلافات الجنسية واللغوية والتشريحية اصول في تكييف المدنيات وحقوق الانسان في تغيير

الجماعات من حيث الميول والمزاج العقلي أو بعبارة اوضح : هو يقرر بان المساواة مستحيلة بين الامم ، او هي مستحيلة بين الافراد ، لأن الافراد أو لأن الامم مختلفة اختلافاً جوهرياً في الوراثات والصفات التشريحية والامزجة العقلية واللغوية ، فالناس إذن متفاوتون ، لا يتساوون في الحقوق، والامم اذن لن تتساوى أمام ميزان العدل العام ، وعليه فلا مع أمة حاكمة مستقرة ومن أخرى محكومة مستعبدة

هذا النظر ينقضه تاجور ، وتأبى فطرته الانسانية ان تؤمن به ويرد عليه في قوله :

« يجب ان تنمحي الاثرة ، وان يزول التعصب للجنس والقرن »

ولا ينكر تاجور الخلاف الذي اشتجر بين الناس منذ القدم ، ولكنه ينكر عليه أنه صدر عن نزعة انسانية فيقول :—

« لقد نشأ الخلاف ، وقام النزاع بين البشر منذ فجر تاريخهم الاول ، ولقد سبقت بعض الجماعات بعضها الآخر ، وتقدمت غيرها معادنة ، ثم أخذت تستغل ضعف الضعفاء ، ثم تكبر عتواً منها ، ثم أغاظت لها العباد والملوك . إن هذه العادة ، عادة السيطرة والقدر قديمة في البشر ، ولكنا على الرغم من قدمها نجزم بأنها ليست من الانسانية في شيء ، وليس لامة متحضرة ان تبني عظمتها على إذلال الذين جردوا من انسانيتهم ظلماً وعدواناً ، وحبست أرواحهم في سجون مظلمة من الذلة ليس للنور والعلم والحرية اليها من سبيل »

فالمساواة اذن حق بشري مقرر ، ولكن الطغيان يهدمها ويتكرها في مناطق كثيرة من هذا العالم

ولئن كانت الاثرة والانانية من مظاهر القوة المدنية الحديثة ، الا ان تاجور يقول فيها انها من مظاهر الانهيار لهذه المدنية فهو يقرر « لقد أسرفت الامم في الاثرة والانانية وفي العصبية الجنسية التي يتمسك بها فريق كبير من أهل الامم المتحضرة ، على ان هذه العصبية هي اكبر مظاهر ضعف المدنية الحاضرة ، فهي التي تجر الامم الى التطاحن لنيل غايتها ، وهي التي تثير بينها حروباً مهلكة بمدمرة ما كانت لتقع لولا هذا التعصب الخاطىء ، وتلك الاثرة التي استكنت في قيم المدنية الغربية »

ولقد حمل كتاب الفيلسوف الالماني (ازوالد اشبنجلر) « سقوط الغرب » هذه النذر التي تضمر للمدنية الغربية الانهيار ، وفسر بطرائقه العلمية دعوة تاجور الروحية ، ولقد مهد لبحثه بقوله :

« إنه يريد ان يجرب لاول مرة تعيين مجرى التاريخ ، وان يوضح مستقبل المدنية التي تسود العالم والتي بلغت ذراها ، وان يصور المراحل التي ستعقب في سقوطها » . [ثم قارن اشبنجلر المدنيات فقال] : « بينما نرى الانسان في المدنية الغربية التي تمثلها الفاعر جوته بفاوست الذي لا يعرف إلا « أنا » أي الذات المستندة الى نفسها لنفسها ، وبينما نرى الانسان في المدنية القديمة الذي يمثله اليونان (بأبولون) يعد نفسه (واحداً) من المجموع مسئولا عن شخصه ، إذ نرى الانسان في المدنية الروحية (مدنية الشرق والاسلام) لا يعد نفسه

إلا جزءاً من كتلة كاملة تجتمع كلها بالظاهر جميعاً» (١) تتمثل في كل جزء من كل فصل من فصول او جزاء وإن الهندية الشرقية هذه تؤمن بشيء آخر ما فتئت يكون في وحدة الجماعة ويبعث الفرد على التفكير فيه باعتبار الفرد جزءاً من كل وان هناك روحاً تتغلغل بروحه وتجمعه بالجماعة هذه الروح المقدسة هي (الله) وهو معصوم من الخطأ في قضائه وقدره — وانما للإنسان ان يشركه بعلمه الذي وصل اليه بالتفكير في الصلاة ان يدع الأمانية في امر والتفكير فيه ليساعد تنفيذها على تقوى الخفية المحركة لهما » (٢)

روت إحدى الصحف الانكليزية(٣) أن تاجور كان في لندن في أثناء زيارة لجمعة السيما للشهورة ماوي بكفورد هناء وحدث أن كان الفيلسوف يمر في طريقه الى الدار التي يسكنها أثناء استقبال الشعب هذه النجمة الجميلة التي ظفرت باستقبال فريد لم يظفر بمثله ملك من الملوك فتبعه صحفي وسأله رأيه في احتفال الشعب بنجمة السيما فأجابه حكيم الشرق

«انما ذلك بعض مظاهر حضارة الغرب المادية التي تدعوه الى التعلق بما يفنى ، والانصراف عما هو باق خالد ، والحضارة الحقة ، الحضارة التي تشرّف الانسانية ، وتدل على سموها وعظمتها هي النقيض من هذا ، وهي الداعية الى التعلق بالخلد الماثل في روح الوجود »

ويرى تاجور في صلة الشرق والغرب غير رأي كثيرين يؤمنون بقول الشاعر الانكليزي رديارد كبلنج « الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا » وهو لا يقر الكتّاب والادباء والسامة الذين يقولون بوجود الفوارق الطبيعية بين الغرب والشرق التي تحول بين قيام التفاهم بين الثقافتين ، أو احلال ثقافة منهما مكان الأخرى ، فيذهب تاجور غير مايذهب اليه علماء دراسة الفوارق الطبيعية التشريحية والانتروبولوجيا الذين يدرسون فوارق الجنسيات من فوارق الطبيعة لتكوين الاجسام والجماجم بين الشرقيين والغربيين ، ثم يقولون باستحالة التمازج بين الحضارتين الخالصتين . إن تاجور ينظر الى الحضارة كأنها ميراث بشري، لا وطن له ولا جنس ولا دم يقتضي اليه ، ويؤمن بأن الاخطاء التي اعترضت طريق الحضارات انما هي أمراض يمكن البرء منها، لأنها من عمل أفراد استغلوا نفوذهم لتوجيه الأمم طبق رغباتهم وانانيتهم وضحوا بدم البشر في سبيل تحقيق ما تلح به انانيتهم واطماعهم . ودعوة تاجور ليست دعوة جاء بها عن طريق تفكيره، وانما هي دعوة استمدها من تعاليم الفلسفة الشرقية ، من تعاليم الهند القديمة المعروفة بمذهب (اوتيوزموفي) الذي يرمي الى احياء العالم من طريق ابتعاث الروح وتوحيد الجامع الروحي

فنظرة تاجور الى الحضارة الغربية ليست الا نظرة مشفقة على ما في هذه الحضارة من كنوز بشرية غالية ، وهو يرى ان الغرب قد أصيب بمرض وبيل : مرض الانانية والتعصب للجنس واللون ، وان داء الغرب هو الداء الذي سيقضي على حضارته . لانه يحرم الحضارة

(١) من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً . ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً (سورة المائدة) (٢) مجلة جامعة من الشرق تصدر ببرلين سنة ١٩٢٥

(٣) جريدة السياسة ٢٩ / ١١ / ١٩٢٦

من عناصر البقاء والتجدد، ومن الروح المعنوية الجامعة التي تبعث بهيج الحياة فيها، وتلهم القادة والزعماء طرق الخير، وحب الاثرة واحترام الكرامة، وتقرير مبادىء المساواة كحق مقضي لكل بشري بمقتضى انسانيته واشتراكه في حمل تبعات الحياة ، وان حرمان امة من الامم او شعب من الشعوب نصيبه في الثقافة والثروة ليس نتيجة نقص في تكوينه الطبيعي ، وانما هذا الحرمان هو نتيجة تحكم شعب قوي بآخر، وحرمانه اياه حقوقاً له مقررة منذ الازل . وان قوانين الوراثة والتناسل ونظم الحكم والتعليم لا ترفع الانسان قدراً على انسانيته، وان صقلته وهذبته ؛ وان حرمان الناس تنظيم الحياة المتحضرة وبسطها على الشعوب المحرومة ليس الا أثراً من آثار الحضارة الغربية التي استأثرت بمناهج الحضارة التي اشتركت فيها الشعوب جميعاً منذ خلق الانسان . وان ما يترتب على هذا الحرمان هو اثارة الحروب التي ستقضي من غير شك على عناصر الانانية القاتلة

***

ويرى تاجور ان العالم يخطىء الطريق عند ما ينشد السلام بضمان مسلح او بعقد اتفاقات دولية . وانما يرى الوسيلة الوحيدة الى السلام في تحقيق الوحدة الروحية ونشر الافكار السليمة بين الشعوب ، وتستطيع ان تقرر بأن لتاجور فلسفة اجتماعية يريد بها ان يبني للمجتمع البشري نظاماً يعيش في كنفه ، وان هذه الفلسفة مدعمة بعقيدة قائمة على حقائق، تسير بمقتضى طبيعة الحياة نفسها ، وتأتلف مع ما يجب ان تكون عليه الانسانية من وحدة روحية، وثقة متبادلة تنشأ بين الفرد والفرد، ثم بين الفرد والجماعة، ثم بين الجماعة والجماعات الاخرى ، أي ان فلسفته ترمي الى جعل الحياة تلبي أبداً مطالب الوحدة الروحية العامة ، وتحث المجتمع البشري على ان يسير طبق ما تطلبه الحياة من حب ووحدة وسلام

وتاجور بهذه الفلسفة يناقض المدنية الغربية في أسسها القائمة على الاثرة والانانية ، وهو يريد ان يشفي المدنية البشرية من داء الغرب ، أو هو يرمي الى نقد الحضارة وتنقيتها من العوامل الهدامة المتبثة في صميم تكوينها ، والتي لازمت انقراض الحضارة البشرية في صورها المختلفة ، فهو مشفق على حضارة الغرب ان تنهار ما دامت تسير في طريق الحضارات المنقرضة الاولى

وتاجور، بدعوته الى الروحية، يبشر بفلسفة الشرق، ويدعو الى دعوة الهند التي تميزها عن ضمير الاديان التي نشأت في الشرق جميعاً، فهو يقول . إن وحي الهند مختلف عن هذا الذي يوحي به الغرب ، اذ أنه يضمن العالم قلب الانسان، وينظر اليهما كحقيقة واحدة كبرى ،

وفلسفة الهند تعتد بالانسجام الكائن بين الفرد والجماعة ، وتشعر بأن الانسان قد لا يلتئم بما حوله من كائنات اذا لم تقم بينهما الآلفة والتعارف الصحيح

فدعوته الروحية دعوة شاملة جامعة بين البشر وعناصر الطبيعة جميعاً ، وليست مقتصرة على ما يبذل من جهد في ربط البشر برباط واحد من الآلفة والمحبة ، وهو يكشفنا عن سر الحضارة الشرقية التي تعنى بالروح والمثل العليا ، فيقول فيها : « لم تكن رغبته في التملك والحيازة ، ولكن كانت رغبته في فهم الاشياء وادراك حقيقتها ، وتوسيع نفوذ ضميره عليها ، بأن ينمو هذا الضمير نمواً متصلاً باتساع آفاق الطبيعة التي تحيط بهذا الانسان » والحق في نظر تاجور ليس الحق الذي يراه الغربي المتحضر ، الحق الذي تعينه وتعرف اوضاعه القوة والمادة ، وانما « الحق هو ادراك شامل للكائنات ، وان السبيل الوحيد للوصول الى الحق انما يكون بتخيل نفوسنا الاشياء لندرك كنهها »

فتاجور يدعو الهندة عند ما يفكرون في مشكلات الحياة الاجتماعية والعمرانية ان يوحدوا أنفسهم ويربطوها بالعالم جميعاً برباط روح جامع ، وان يدركوا ادراكاً كاملاً حقائق الكائنات ، وما يحيط بهم من امم وقبائل طامحة الى الحياة مثلهم في هذه الدنيا . ويدعو تاجور الى وجوب الاتصال بالعالم ، ويرى في هذا الاتصال بقاء وغذاء متجدداً للحياة ، ومعنى هذا انه يدعو الامم الى تبادل الحياة والثقافة والمنافع المستمرة ، فهو يقول :

« يجب ان يعلم الانسان انه وان جاهد وبذل في الحياة فلن يخلق عناصر وجوده في ذاته من نفسه ، ولن يكون كائنة تدير عجلتها من جهدها صانع طول الدهر . فالانسان لا يمكن ان يعيش على ما في جسده من مخزن ولا بد له من مدد موصول مما حوله من العالم ... فاذا ما عكف على نفسه يجتر القوت ويلتمس منها الغاية وجدت نفسه قد انطفأت وتخلفت ابداً وأكل بعضها البعض الآخر »

هذه هي الدعوة التي تحمل في رسالتها المعنى السامي للانسانية . لان من يعيش في نفسه لنفسه يدنو من الصفات التي تلصق الأنانية بالفرد وتنزع به الى الأثرة وتبعده عن الشهامة والخيرة فمجاهدة وحب للخير للكافة . بل ان هذه الدعوة تدفع الانسان الى ان يكون دائماً ملمًّا في تفكيره وثقافته ونظره نحو الاشياء

رب إله البشر جميعاً
نجوت من كل نور وجاني
يا هديتي عن جميع الامم وان اختلفت ألوانها
وحد بين قلوبنا ، واملأها بهذه النعمة
وأيدها بروح الحق والعدل

باب المراسلة والمناظرة

اللسان العاصي

واللسان النباتي

لا يسعني قبل الرد على الملاحظات العلمية اللغوية التي أبداها الأمير مصطفى الشهابي تعليقاً على مقالي في عدد فبراير من المقتطف سنة ١٩٤٢ الاّ ان أثني عليه جزيل الثناء لاهتمامه بتتبع مقالاتي وابداء ما يعن له من ملاحظات هي في الواقع مفيدة اذ الحقيقة بنت البحث

فأولاً — قال اني ذكرت (ان التنّوب يسمى الشوح في الشام) ثم علق على هذه العبارة بقوله (وفي الحقيقة يطلق الشاميون كلمة الشوح على نوع من التنوب تنبته الطبيعة في جبل لبنان وجبل الشيخ وجبال طورس وهو Abies cilicica أي تنوب كيليكية (أو قيليقية) الى آخر ما أورده وأخيراً قال (إن كلمة الشوح لا توجد في الامهات من كتب اللغة ولا في المفردات)

. ويرمي التنويه هنا بأن عبارتي وهي اطلاق الشاميين كلمة الشوح على التنّوب كما قال الأمير صحيح فقد جاء في ص ٧٥١ من النسخة الانكليزية لكتاب نباتات سورية وفلسطين وسيناء تأليف جورج بوست ان الشوح هو Abies (يريد الجنس) وهو ايضاً A. cilicica (أي النوع الكيليكي) دون ذكر كلمة تنوب أو تنّوب كيليكي . وعليه فالقول بأن التنّوب يسمّى الشوح في الشام صحيح إعتماداً على ما ذكره بوست وأراد به الجنس عموماً والكيليكي خصوصاً

أما استغراب الأمير عدم ذكري هذا النوع بالذات فذلك لأني لم ار داعياً له اذ لم يكن غرضي الاستقصاء في المقال المذكور

وثانياً — أشكر لحضرة الأمير ما نبهني اليه من ذكر كلمة pimpinella بدلاً من pimpin

وهذا وقع سهواً لدى النقل وترتب على ذلك تكراره بما لاحظه الأمير

وثالثاً — قولي اني ترجمت A. lasiocarpa بالثوب الخرش الثمر . والصحيح الثوب الأزغب الثمر أو ارغبي الثمر او الأشعر الثمر وهو معنى الكلمة الدالة على النوع . أما الخرش فهو الخشن وليس بذي الشعر) وأقول اني لم أترجم ذلك الاسم الا بي ولكني نقلته بحرفه عن الرجم العلامة المستشرق المحقق بوست فقد جاء في النسخة العربية من كتابه المذكور في (أولاً) من هذا المقال بمقابلتها على النسخة الانجليزية في صفحات ٧٦ و ٨٨ و ١١٥ ان في الصفحة الأولى من هذه الصفحات Brassica lasiocalycinum ترجمها البراسيكا الخشنة الكأس وفي الصفحة الثانية ان Cœmelina hispida ترجمها الكمليا النحوية وان منها صنفاً هو var. lasiocarpa ترجمها بالخرش الثمر وفي الصفحة الثالثة ان Helianthemum var. lasiocarpum ترجمها الهليانثموم الخرش الثمر . على اني بعد ذلك أوافق حضرة الأمير على الترجمة الحرفية التي ذكرها بقوله الأزغب الثمر أو ارغبي الثمر أو الأشعر الثمر وان كنت لما راجعت كلمة lasios في اللغة اليونانية وجدت مقابلها في مرجعين انكليزيين shaggy وترجمتها العربية كثيف وكث وأشعث و hairy وترجمتها أشعر فاذا كان هناك شيء من المؤاخذة فيرجع الى العالم النباتي المحقق بوست

ورابعاً — أوافق الأمير على ان النبات ليس له لسان مستقل وان عبارتي (اللسان النباتي) كان الأولى ان تكون اللسان النمي او لسان العلم ولكن ما حيلتي في اني وجدتها بذلك النص في مراجع كثيرة وتكررت فيها بلفظ واحد . من ذلك دائرة المعارف للبستاني وهي ما يعرف حضرة الأمير قيمتها النادرة في العربية، وفي مصنفات النباتيين المصريين وهما السيد احمد الرشيدي في كتابه (عمدة المحتاج في علم الأدوية والعلاج) واحمد بك ندى في كتابه (حسن الصناعة في علم الزراعة)

خامساً — واخيراً ما اني عربت كلمة Picea الدالة على جنس مهم من الصنوبريات ولم أترجمها بالعربية فذلك لكي يعلم الله اني راجعتها فيما عندي من المراجع فوجدت بعضها يقول إنها بالانة الانبذية تدل على ما يكون معرقاً الى الزفت او القار فلم أستحسن ذلك لما يأباه الذوق . فترجمة الأمير لها بالراتينجية مستملحة جداً لأن كلة راتينج وهي فارسية معناها صمغ الصنوبر

محمود مصطفى الدمياطي

هول كتاب

ظواهر حجرة تحضير الارواح

نشر المقتطف الأغر في عدد إبريل سنة ١٩٤٢ كلمة عن كتاب « ظواهر حجرة تحضير الارواح » الذي نقلتهُ الى العربية حديثاً . ولي عليها الملاحظات الآتية : —

(١) لم أرم كتّاب المقتطف الأغر ومحرريه بالخبث، وكل ماقلتهُ في الصفحة ٥ من المقدمة إن مجلة « مينتفك أميركان » في محاولتها الخبيثة والبارعة في الخبث قد صدت كثيرين عن متابعة البحث في الروح ، ولم يسلم من محاولاتها تلك حتى كتّاب المقتطف الأغر . وهي لم تصدهم عن متابعة البحث فحسب ، بل دفعت بهم أيضاً الى نشر رسائل جمعوها بعد في كتابهم « رسائل الارواح » ورجحوا فيها ناحية الانكار وطنطنوا بجائزة المينتفك أميركان !

هذا هو الذي قلته ، وهو بعيد جداً عما ذهب اليه حضرة الكاتب الفاضل . ولكي أدلل على تأثر كتّاب المقتطف الأغر وناشري كتاب « رسائل الارواح » رأيت ان أضرب مثلاً فاخترت واقعة واحدة من بين الوقائع الكثيرة المخطئة المذكورة في هذا الكتاب ، وهي الخاصة بانكار مادة الاكتوبلازم ، ثم أردفتها بالتصحيح لا بكلام من عندي بل بكلام أحد المحكمين في لجنة المينتفك أميركان ، وقد أشاد المقتطف بذكره ، وهو الدكتور هيريوارد كارنجتون العالم السيكولوجي . ولعلّ المقتطف لا يرميه بعد ذلك بالغفلة . ثم عدت فقلت في الصفحة ٨ « هذا مثل واحد ضربناه للتدليل على تأثر كتّاب المقتطف الأغر بما نشرتهُ مجلة المينتفك أميركان . ولكن أصحاب المقتطف وكتّابه ، والحق يقال ، لم يقفوا موقف الجمود ، ففيما ظهرت الكشوف الروحية البارعة ووضعت النظريات الحديثة لم يحجموا عن نشرها ، وان كانوا قد نشروها في تحفظ شديد ، فكانوا بذلك مثلاً يصح ان يحتذيه البحّاث العلميون ... »

(٢) أشارك المقتطف الأغر رأيه فيما يحفل به تاريخ العلم من الحقائق والآراء التي قوبلت بالشك والاعتراض في مبدأ أمرها ثم اعترف بها بعد . وحقاً ان الريب طبيعي في العلم الى ان ينهض الدليل ، فاذا نهض الدليل كان هذا الريب مدعاة للعجب الشديد . ولكن لنفرض ان الدليل لم ينهض بعد ما نحن فيه فهل يتفضل حضرة الكاتب الفاضل محرر المقتطف الأغر ان يدلنا على كيفية العثور على الدليل الذي يرتضيه هو لكي يقال ان العلم قد اعترف بالروحية ، وليلاحظ ان الأسلوب العلمي الذي اتبع في الكشوف العلمية الأخرى قد اتبع في الكشوف

الروحية بقسوة ، وفي بعض الاحيان بحماقة فاقت كل معروف . واذا لم يكن الدليل لامثالنا كما هو الحال في أحدث الكشوف العلمية الاخرى، هو مستمعات الاساتذة الجامعيين وتجاربهم ، ومدونات جمعيات البحوث النفسية في أوربا وأميركا ، واعتراف جامعات كجامعة كمبردج العريقة وانشائها تعهد ودراسة .... اذا لم يكن هذا كله دليلاً على اعتراف العلم بالروحية فماذا يكون الدليل لامثالنا يا ترى ؟

أستطيع ان أذكر للمقتطف أكثر من خمسمائة كتاب في الموضوع من بينها عدد كبير لاساتذة جامعيين ، وإن كنت لم أقرأ إلاّ نحو ستين كتاباً ، وكفى بالسينتفك أميركان للمقتطف الأغر مرجعاً عتيداً . وأستطيع ان أذكر له أسماء من يزيدون على مائتين من الاساتذة الجامعيين المحدثين والمعاصرين ، بين دكاترة في الطب والعلوم والفلسفة والقانون والهندسة وعلوم الحياة . فاذا كان هؤلاء كلهم مما استنبطوا من أجهزة علمية غاية في الدقة ، وعما أجروا من تجارب دقيقة ومضنية في المانيا وإيطاليا والنمسا وفرنسا وروسيا وانكلترا واليابان وأميركا — اذا كان هؤلاء لا يؤخذ برأيهم فبمن نستعين في هذا الصدد ؟ ويلاحظ ان من بين هؤلاء كثيرين ، وكثيرين جداً ، أخذ المقتطف الأغر برأيهم في العلوم الاخرى ، ووافق هواه « الاسلوب العلمي » الذي اتبعوه — دون ان يرى محرره الفاضل تجاربهم !

(٣) أ لف حضرة الكاتب الفاضل في قوله « إن معظم أقوال أصحاب الروحية لم يقم عليه دليل علمي كما يفهم الدليل العلمي » . وقوله « وان يقول الدكتور بورز مثلاً قولاً ما ، وانهُ ثبت له ، لا يكفي حتى يستطلع عشرات غير الدكتور بورز تمحيص أقوال الدكتور وتأييدها في أحوال خاضعة للتدقيق العلمي »

أيدري سيدي لماذا أخالفه ؟ أخالفه لان الاذاة لم تلبس — كما يقول هو — ثوب العلم والأشعة وتحوّل المادة الى طاقة وهلمّ جرًّا .... بل لان هناك قوماً لا يريدون ان يبصروا كرجال السينتفك أميركان . ويقول الفرنجة « ليس هناك من هو أشد عمى من أولئك الذين لا يريدون ان يبصروا » . لقد أصبحت المسألة يا سيدي مسألة ميزان وترمومتر ومجهر واشعاعات وفوتوغرافيا وخدع ولسن العالم الذي صورت به الكهارب ، والذي صورت به كذلك أرواح الحيوانات عند ذبحها ! !

وأخالف سيدي لان عشرات بل مئات من أمثال الدكتور بورز قد وافقوا هذا الدكتور . أخالفه لان الاساتذة الجامعيين الذين اختارتهم مجلة « سينتفك أميركان » محكمين أوائل في مبارتها المزمة قد ألفوا بل حاضروا في الروحية . أكتب هذا وأمامي كتاب أخرجتهُ جامعة كلارك Clark الاميركية سنة ١٩٢٧ ، واسمه « المذهب الروحي بين التأييد

والمعارضة » وفيه نصوص المحاضرات التي ألقيت في هذه الجامعة بدعوة منها . وقد تضمنت بعض هذه المحاضرات المؤيدة للروحية البحوث الآتية :—

أولاً — « البحث الروحي كرياضة جامعية » للعلامة السيكولوجي الطائر الصيت الاستاذ مكدوجل أحد محكمي لجنة السينتفك أميركان

ثانياً — « هل يستحق البحث الروحي أدنى عناء ؟ — استعراض لقضية الوسيطة مرجري » للدكتور والتر فرنكلن برنس أحد محكمي لجنة السينتفك أميركان

ثالثاً — « البحث الروحي والفلسفة » للعلامة هانزدريش أستاذ الفلسفة في جامعة ليبزج ورئيس جمعية البحوث النفسية البريطانية في ذلك التاريخ

رابعاً — « بعض الوجوه المنطقية للبحث الروحي » للعلامة شلر أستاذ الفلسفة في جامعة اكسفورد

ولا داعي لذكر أسماء المحاضرين جميعهم من مؤيدين ومعارضين، ولكن ربما سرّ سيدي ان يعلم ان هذا الكتاب جمع أربعة عشر رأياً لأربعة عشر باحثاً وباحثة ، وان عشرة من هذه الآراء تؤيد الروحية ، واثنين لم يقتنع صاحباهما بعد الاقتناع الكافي ، واثنين معارضان أحدهما المغفور له الساحر الذائع الصيت « هوديني » أو بالأحرى الوسيط الروحي المتساحر . وسأذيل كتابي « في العلم الروحي الحديث » الذي أعده للطبع بترجمة حرفية لهذه البحوث الأربعة السابقة

(٤) أرجو أي يفهم سيدي أن التهم الموجهة الى مجلة العلم والاختراع والعبقرية « سينتفك أميركان » التي تحظى من سيدي بالتأييد والدفاع الحار لم يوجهها أحمد فهمي ابو الخير ، وانما وجهها اليها علماء اعلام ، وقد نشروها في الصحف والكتب المطبوعة بالانكليزية التي تفهمها هذه المجلة العظيمة . وأرجو سيدي أن يتم قراءة مقدمتي لكتاب باورز وارجوه كذلك أن يقرأ هذا الكتاب . وألفت نظره الى كتاب « مرجرى الوسيطة » الذي ألفه رجل السينتفك اميركان وأحد محكميها الاوائل في مباراتها المزمنة ، العلامة مالكولم بيرد الذي نعته المقتطف الاغر بأنه من أفذاذ العلماء المتبحرين في العلوم الرياضية . هذا الرجل الصريح الجريء لم يقف عند حد اعلانه صدق الظواهر بل تعداه الى اتهام زميل له في لجنة التحكيم — هو هوديني غفر الله له — بالغش والتدليس في عمله كمحكم عادل . وقد كان الاتهام علناً وكتابة وفي مواجهة هوديني .

(٥) ليس غريباً قولي « تفنن خصوم الروحية تفنناً عجيباً في نشر آرائهم ودعاويهم الباطلة، ووجدوا من الصحف صدراً رحباً لم يتسع الاتساع الكافي للمؤيدين كما اتسع للخصوم

المعارضين » . وذلك حقيقي لأن الصحف في مصر وفي غير مصر لم تتسع لنشر مقالات الروحيين وردودهم كلها . واذا نشرت شيئاً تناولته بالتغيير والتحوير . وقد اضطر الروحيون في الخارج الى انشاء صحف ومجلات خاصة بهم . وقد تساعد الظروف على مثل ذلك في مصر ان شاء الله في المستقبل القريب

ولا أريد أن أدلل على صدق قولي الا بما تم لي مع المقتطف الأغر نفسه، ومع محرره الفاضل الاستاذ فؤاد صروف بالذات . فحضرة الاستاذ الفاضل يذكر بالطبع اني بعثت له يوماً مقالاً عن العلاج الروحي يتضمن رأي أحد اساتذة الطب في احدى الجامعات، وهو الدكتور باورل نفسه صاحب كتاب « ظواهر حجرة تحضير الارواح » فأبى أن ينشره . واتصل بي بالتلفون وقال لي بالحرف الواحد « أرجوك يا استاذ أن تعفينا من نشر هذا المقال » . ويعرف هذا ايضاً حضرة صاحب السعادة الدكتور فارس نمر باشا وقد تكرم « بالطلال » الأغر فنشر خلاصة له بعد ذلك . ويلاحظ أن الرأي لطبيب اي لرجل مختص . ترى لو بعثت لسيدي بتجاربي في هذا العدد ينشرها ؟ إنها تجاريب اجريت مدعمة بشهادات أساتذة الطب في كلية الطب بمصر ، واعترافات المرضى ، وبالصور الفوتوغرافية . وقد سجلت بعض هذه التجارب على شريط سينمائي صامت يمثل طرق العلاج ، وعرضته اخيراً في محاضراتي . واني أتحدى بتجاربي تلك كل طبيب في مصر وغير مصر ، وأتحدى بها المقتطف الاغر وكل منكر — وهي تجمع بين الامراض العصبية والعضوية

وهل اذا ارسلت لسيدي صورة زنكوغرافية لبطاقة كان أرسلها اليَّ استاذنا الكبير خليل بك ثابت رئيس تحرير المقتطف الأغر يدعوني فيها لفحص حاملها ومعالجته بالطرق الروحية — وذلك بعد تلك الضجة المفتعلة التي يعرف سرها حضرة المحرر والمقتطف — هل اذا أرسلت اليه هذه البطاقة ومعها اعتراف بالبرء بخط المريض وامضائه ينشر ذلك ؟ ويلاحظ ان المريض هو الآن أحد وكلاء النائب العام

وهل اذا ارسلت لهُ صورة فوتوغرافية لطبيب حكومي فضل واقع في الغيبوبة عندي في حجرة التحضير — هل ينشرها حتى يفرق المهاجمون المهاترون بين الغيبوبة الروحية والهستيريا ؟ وهل اذا سميت له بعض حضرات الأطباء الذين هيمنت عليهم الأرواح في جلساتنا فجعل البعض يرقصون ولم يستطع البعض الآخر حراكاً ، والذين رأوا الأضواء تشع من أيدي الوسطاء ومن سقف الحجرة وجوها وأرضها حيث لا أجهزة مادية مرئية أو مخبوءة — هل ينشر ذلك ؟ . هل اذا أرسلت اليه وصفاً مسهباً لما حدث لمتعلم متعلمت ملحد حضر احدى جلساتنا لاول مرة فرأى الأضواء ثم هيمنت عليه الأرواح فجعل يصرخ — هل اذا

بعث هذا ينشره سيدي أم يقول « تلك سخافات أقوال وأعمال لمناقضتها لنواميس الكون » ؟ وكأن العلوم المادية قد أحاطت بكل نواميس الكون ! ويلاحظ ان ذلك كله خاضع كل الخضوع لنواميس لم يصل الى استجلائها العلم المادي واستجلاها العلم الروحي

(٦) ويقول سيدي ان المسألة لا تحسم بالكتابة في الصحف بل في معامل البحث . وحسن هذا الذي يقولهُ سيدي ، ولكن لماذا يباح نشر ما يشكك الناس في القضايا الروحية ويمنع نشر الرأي المؤيد ؟ أليس في ذلك ما فيهِ من التحيز على البحاث وعلى جمهور القراء ؟ ثم اذا حسمت المسألة ، وقد حسمت فعلاً ، أليست الكتابة في الصحف أو المجلات الخاصة هي الوسيلة الأولى للنشر ؟

وأرى سيدي لا يقف عند ذلك بل يطلب الى الحكومة حظر النشر عن بعض نواحيها أو معالجة بعض مسائلها بغير ضابط اتقاء لما قد يفضي اليه ذلك من ضرر مادي — (كالعلاج الروحي مثلاً !) فيا سبحان الله ! لماذا لا يطلب سيدي كذلك الوقوف في وجه المادية التي تنشر الالحاد والفسوق جهاراً نهاراً ؟ ألم يبلغه نبأ اولئك السيكولوجيين ازاء ما سموه « عقدة اوديب » التي لا وجود لها والتي ذهبت الى حيث لا رجعة كزميلها « العقل الباطن » المزعوم ؟ ليتصور سيدي معالجاً سيكولوجيًّا يتحدث الى عذراء مضطربة الاعصاب ، أو الى طالب قلق ، في العلاقة الجنسية ، ويهبط بالانسانية الى درك سحيق من البهيمية الحمقاء . لماذا لا يبدي سيدي هذه الغيرة الجامحة العلية على الاخلاق بمزقها أمثال هذا المعالج شر ممزق ، وعلى العقول وهي تمتهن مما أدى ببعض الذين عولجوا علاجاً نفسيًّا من هذا الطراز الى طلب الانتحار ، والى آلام عقلية مقلقة مفجعة حتى لقد قدمت فعلاً شكاوى الى وزارة الصحة؟ لماذا لا تظهر هذه الغيرة العلمية على حماية الأخلاق والعقول الآن ضد الروحية التي تحمي الأخلاق والعقول ؟

ليت الديمقراطيات الكبرى سمعت هذه الصيحة الداوية فعطلت الصحف الروحية أو منعت على الأقل شركة الاذاعة البريطانية أن تذيع في كندا محاضرة في صميم الروحية ألقاها العالم (Hayward) هايوارد بدعوة من لجنة التعليم الاقليمية حملها اليه العلامة كيرستيد Kirstead أستاذ السيكولوجيا باتحاد الكليات ، بل بيت الحكومة الفلسطينية سمعتها كذلك فحالت دون تأسيس جمعية روحية في مدينة حيفا برآسة طبيب فاضل هو الدكتور قيصر خوري ، وأغلقت نادي هذه الجمعية ومكتبتهُ التي تحوي مجموعة كبرى من الكتب الروحية . وربما سر سيدي ان يعلم ان هذا النادي المعدّ لاستحضار الأرواح مصرح به رسميًّا

من حكومة فلسطين منذ أربع سنوات واسمه « نادي مان تريز لمناجاة الأرواح »

لقد استطعت في محاضراتي عن « الروحية والجريمة » التي القيتها في نادي القضاة في فبراير الماضي وفي محاضراتي عن « الأحلام » و« عن الموت الظاهر ودفن الاحياء » اللتين القيتهما في نادي المعلمين ونادي جمعية الشبان المسيحية أن أهدم الى حد بعيد تلك النظريات المادية والسيكولوجية المتغلغلة ، وأقمت الدليل على مكنة التواصل الروحي وعلى الاخص في محاضرة « الروحية والجريمة » مأخوذاً من سجلات المحاكم الانكليزية والفرنسية والاميركية ، وذكرت بعض ما ورد في « دبلي اكسبرس » و« سايكك فيوز » وغيرهما من الصحف وما عثرت عليه من مدونات مكتبة بودليان بأكسفورد — مما يثبت التواصل الروحي ، وكيف أدت تلبيغات الارواح الى الحكم بالاعدام ، وكيف ظهرت الروح مجسدة في إحدى جلسات المحاكمة ، وأثبت القاضي والمحلفون ذلك في محضر الجلسة

وقد يكون هذا كله غير منفق وذلك « الاسلوب العلمي » الذي يرتضيه سيدي ، ولكنه على كل حال برهان مادي ممكن

(٧) وختم المقتطف الأغر تعليقه بما كتبته عن التواصل الآلي بين عالم الروح وعالم المادة وحين يقول سيدي بعد تجربته الوساطة والوسطاء ان العلم لم يصل بعد الى اثبات التواصل بين العالمين ألا يفهم من قوله انهُ انما يريد التواصل الذي يتم بالاجهزة والآلات دون الوسطاء ؟ سيرى سيدي إن شاء الله في كتابي « في العلم الروحي الحديث » الذي أعدّه للطبع فصلاً مترجماً لباحث كبير أجرى تجاربه في أصقاع متعددة ، ومع وسطاء كثيرين ليسوا من أهل الثقافة والضعة ، ونشرها في كتاب اسمه « الاحداث الروحية في أنحاء العالم » . وقد ظهر هذا الكتاب في آخر سنة ١٩٣٩ ، وهذا الفصل عنوانه « الظواهر الروحية في ضوء العلم الحديث » وفيه شرح مستفيض للاحداث الروحية في ضوء العلم الحديث المتعارف ، وختمه بذكر أقوال بعض علماء عصريين طالما استشهد المقتطف الأغر بآرائهم في الذرة والكهنوب وما الى ذلك من أمثال كروذر Crowther وبلفور وغيرهما من الاساتذة الخالين في جامعات جونز هوبكنز Johns Hopkins وليك Lick وريدنج Reading ومكجيل Mc Gill

ولا يفوتني ان أقول ان الوسطاء الذين يستخدمون الروحية لنفع النادي يفقدون وساطتهم ويفقدون حياتهم أحياناً كما حدث لهوديني الوسيط المشاهر مما سأشرحه باسهاب في كتابي « العلم الروحي الحديث » — سيان في ذلك اهل الثقافة والضعة منهم ام اهل الغنى والرفعة لان أساس الروحية الصدق والامانة ومحبة الغير وخدمة الغير . وحالة الشيخ سليم الطهطاوي خير شاهد على ذلك فقد عاش فقيراً ومات فقيراً ، وكان يجيء في طرفة عين بالذهب الوهاج

بشرط أن لا يمد أحد يده اليه ثم يعود به امام بصر الحاضرين وسمعهم الى معدده فيخفي في طرفة عين

ولا يفوتني كذلك أن أقول أن من بين الوسطاء المصريين ضبياً حكوميًّا ، ومهندسين حكوميين ، ومرتقين وعمالاً — وكلهم قادرون بالوساطة العفة الراقية البعيدة عن المادة التي يعبدها كثيرون من الناس . وأعود فأنتب الى سيدي ان يقرأ الكتب الروحية فيقف على الحقيقة في هذا الصدد . وفي كتابي « على حافة العالم الاثيري » و« ظواهر سحرة تحضير الارواح » ما يقنع سيدي ان اراد أن يقتنع

(٨) بقي أن أؤكد لسيدي أني أستطيع ولو الى حد ما أن أفهم ما اقرأ وما اكتب وأقول اني فهمت مما كتبه المقتطف في الروحية انهُ يميل الى ناحية الانكار ، وان هذا الميل منهُ قديم . ومن غريب المصادفات ان تقع في يدي حديثاً نسخة مطبوعة في مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٢٨ لمحاضرة عنوانها «علم الروحيات الحديث» ألقاها الاستاذ الشيخ محمد المأمون الاورنجاني في المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٤٦ هجري ، أي منذ أربعة عشر عاماً ، وذلك بدعوة من المجمع العلمي العربي نفسه . وما أخذته على المقتطف الأغر أخذه عليه ايضاً الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي العربي حين قدم المحاضر المجتمعين ، فقد قال عن المقتطف « ان محرره العلامة المرحوم يعقوب صروف كان يعني ببسط هذه المباحث في مجلته لكن لا ليؤيدها ويثبت صحتها بل على العكس ليبطلها ويزيف أدلتها . وكان يقول : ان جميع من يذهب الى صحة استحضار الارواح من علماء اوربا المعروفين بالصدق هم لسلامة صدورهم ينخدعون فيصدقون »

وقد علق الاستاذ الحاضر على هذا القول بكلام يؤيده ولا داعي لذكره فقد لا يستحب صاحبه . ولا يفوتنا أن نقول ان الاستاذ المحاضر درس في تركيا وأوربا والهند هذه العلوم دراسة علمية عملية ، وحضر معظم المؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض ، ولهُ تجارب كثيرة

وبعد فلعلي أكون قد وضعت الامور في نصابها ، وأرجو أن يتسع صدر المقتطف الأغر فينشر كتابي هذه عملاً بحرية النشر

احمد فهمي ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

٣٠ نيسان سنة ١٩٤٢

[المقتطف] ان تعبير « عملاً بحرية النشر » تعبير مظلوم او هو تعبير يُتوسَّل به احياناً الى ظلم اصحاب الصحف ومحرريها . ونوثر فصل كل مؤلف يرسل كتابه الى المقتطف لمراجعته في باب مكتبة المقتطف بالرد على مراجعته في سبع صفحات طوال ، وهو رد يقتضي على الغالب ردًّا من الصحيفة لوجب ان تقف المقتطف على الكتب وردود أصحابها او لوجب ان يقف المقتطف عن الصدور

ان الباب في كل ما قاله الأستاذ ابو الخير ، هو ماهية « الدليل العلمي » الذي نقبلهُ في مسائل الروحية وهي المسائل التي يقول الأستاذ فيها «وليلاحظ ان الأسلوب العلمي الذي اتبع في الكشوف العلمية الاخرى قد اتبع في الكشوف الروحية بقسوة، وفي بعض الأحيان بحماقة فاقت كل معروف الحماقات . . . »

اذا كانت مسائل الروحية خاضعة لأساليب البحث العلمي ، والدليل فيها ليس من طبقة أخرى من الأدلة[1]، فيجب ان يكون الاعتماد في قبول حقائقها او الاراء والمذاهب فيها او رفضها ، على ما يعتمد في علوم الطبيعة والكيمياء والطب والحياة

والطريقة المتبعة ، هي ان معاهد البحث في الجامعات او الشركات الكبيرة او غيرها من الهيئات الخاصة والعامة ، تضم علماء شهد لهم أقرانهم بمزايا معينة في ناحية ما من نواحي هذه العلوم . فاذا توصلوا الى كشف حقيقة جديدة ، او الى وضع رأي طريف ، نشروا ذلك في المجلات العلمية المحضة الخاصة بعلمهم ، او المجلات العلمية الرفيعة المقام التي تخصص لهذا الغرض . وهذا النشر يتيح لغيرهم من الباحثين في شتى اقطار الارض ان يمحصوا ويمحصوا ما يقال وان ينشروا بعد ذلك ما يثبت لهم من تأييد او تفنيد او اقتراح بتصحيح وتعديل

او قد تتلى رسالة عالم او باحث في جمعية علمية مختصة او مجمع علمي عالي المقام. وبعد التلاوة، تنشر الرسالة او ملخص دقيق منها في هذه المجلات . والتلاوة في الجمعية العلمية المختصة او المجمع العلمي، لا تكون الاّ بعد عرضها على جماعة من الأعلام ليحكموا في هل فيها ما يستحق التلاوة والنشر، غير ان تكون الموافقة تأييداً لقول صاحبها وان كانت اعتراضاً بمنزلة القول

بين المجلات المختصة مجلة كالمجلة الطبيعية The Physical Review ، وأشباهها ، ومجلة « اللانست » The Lancet الطبية وأشباهها . وبين الجمعيات المختصة « الجمعية الرياضية » او « الفلكية » في انكلترا وأشباههما . وبين المجامع العامة العالية المقام الجمعية الملكية The Royal Society في انكلترا . وهناك ما يقابلها جميعاً في بلدان اخرى منزلة وشأناً . وبين المجلات العلمية الشاملة العالية المقام كمجلة Nature في انكلترا و Science في الولايات المتحدة . فكل ما يتلى في هذه الجمعيات وما كان من مقامها ، وما ينشر في هذه المجلات وما كان من محلها ، جدير بكل احترام

أما المجلات العلمية الاخرى مثل « دسكفري » و « السينتفك اميركان » و « رسالة العلم الاسبوعية » وما أشبه ففي مقام تالٍ لما تقدم . وان كان فريق من كبار اساتذة العلوم

---

(١) قد يوصف الدليل بكونه وصفاً علمياً فيكون الدليل العلمي هو السند . وقد يوصف وصفاً فنياً فيكون الاعتماد على نوع آخر من الدليل ولكنه التأمل وحس الفنان المرهف وما شابهها من خلقان والاعتراف بها واجب

يكتبون فصولاً فيها مثل العلامة الأستاذ نوريس رسل وفصوله الفلكية في السينفك اميركان . وهي تقرب العلم بأسلوب سائغ يصح الاعتماد عليه بوجه عام وعامة يعتمد على الاكثر في النقل والتلخيص. فعندما نطالع في مجلة نايتشر وسينس على رأي في مذهب علمي نعتمد به . وعندما نطالع فيها ما يشير الى تأييد الرأي من مصادر علمية محترمة شتى ، نقبله ، ولا سبيل لنا الا ذلك فليس في وسع أحد أن يحكم بنفسه على كل جديد في كل علم مهما يبلغ علمه

ولما كان الاستاذ ابو الخير ، قد حتم أن الاسلوب العلمي ، هو المتبع بقسوة في المسائل الروحية ، وان المسألة « مسألة ميزان وترمومتر ومجهر واشعاعات وفوتوغرافيا ومخدع وثمن القائم ... » فقد كان من المنتظر ان تنقل الينا مجلة كنايتشر او مجلة كسينس ، طرفاً من هذه المباحث العلمية ، وأساليبها ونتائجها . ونحن نطالع دائما المجلتين ، وان كانت المطالعة غير منتظمة الآن ، ولم نر فيهما ما يحملنا على مشاركة الاستاذ ابو الخير قوله ان مسائل الروحية — وما أكثر نواحيها — « قد حسمت فعلاً » ، وذلك بغير ان نقول ان العلم ينفيها فالعلم كما قلنا مراراً لا يستطيع ان ينفي ما لا يحيط به . ونحن نفضل ان نأخذ آراءنا في المسائل العلمية عن نايتشر على اخذها من الديلي اكسبرس.

ولسنا ندري حقاً كيف يستطيع الاستاذ ابو الخير التوفيق بين ما يقوله عن تطبيق الاسلوب العلمي « بقسوة » و« حماقة في المباحث الروحية » ، وبين ما يقوله عن الشيخ سليم الطنطاوي واستحضار الذهب ، لان الشيخ على ما روى الاستاذ ما كان يسمح لأحد بمد يديه الى الذهب . فكيف يكون الحكم علمياً في هذه الحال ، وأساس العلم الحس والوزن والقياس والتحليل ؟ !

اما ذكر عدد الكتب المطبوعة ، وانشاء « كراسي » في الجامعات العريقة ، واذاعة احاديث بالراديو ، فدليل على الاهتمام بموضوع ما وليس دليلاً على صحة ما تحويه الكتب ، او يذاع في الاحاديث . ولم يقل أحد ان مسائل الروحية ليست جديرة بالعناية ، بل العناية بها واجبة ، وإتاحة البحث الصحيح فيها ضرورة لا مفر منها . وعلى كل حال فان المجلات العلمية التي تقدم ذكرها تعهد الى اكبر العلماء في مراجعة المؤلفات التي تصلها من جميع انحاء العالم ولا نذكر في ما طالعناه من هذه المراجعات كتباً كثيرة مما اشار اليه الاستاذ فقرت بالثناء على سلامة طريقتها ونتائجها. ولعل كتاب الاستاذ رين Extra-Sensory Perception مستثنى من ذلك على ما نذكر وهو في « التلبثي » ونتائجه لا تزال في حاجة الى مزيد من البحث ولكن أسلوبه علمي

اما الواقعة الخاصة بنشر محاضرة الاستاذ ابو الخير في « العلاج الروحي » فصحيحة بحذافيرها وباعثنا على طلب الإعفاء ، كباعثنا على القول « بحظر النشر عن بعض نواحيها عندنا او معالجة بعض مسائلها بغير ضابط اتقاء ما قد يدعي اليه ذلك من ضرر مادي » وهو رغبة في تجنب اتهام

ولسنا في حاجة الى اقامة الدليل على تأييد موقفنا من منزلة الحرية في الارتقاء الفكري وان الدفاع عنها تبعة واقعة على كل مثقف . ولكن اذا خاضت أمة حرب موت وحياة ، نزلت عن كثير من حرياتها المقدسة ، في سبيل الكفاح لاحراز الظفر . ومصر في كفاح مع المرض ومع الجهل والدجل في علاجه . ورجال مدرسة الطب ووزارة الصحة ، يعاونون الامريّين لتدريب الشعب ، على الأخذ بأساليب الصحة التي أقرّتها علوم الطب ، وبالعلاج على أيدي الأطباء المدرّبين ، والانصراف عن الدجالين والأوهام . فاذا عمدنا ونحن في غمار هذا الكفاح الى النشر بأن فلاناً يشفي بالأرواح أمراضاً استعصت على أمهر الأطباء ، كانت العاقبة : إصابة مساعي رجال الطب والصحة عندنا بصدمة قوية واتاحة الفرصة لنفر من أذكياء الدجالين — وهم كثر — للسيطرة على أناس عرفوا ببساطة القلب . ولما كانت الامراض المتفشية كثيرة في هذه البلاد ، فانا طبعاً نفضل تيسير النجاح لمساعي الهيئات الطبية في البلاد على أن تتاح الحرية لنشر كثير مما قد يكون له سند ومما ليس له سند في الصحف والمجلات ولو كان في ذلك بعض الظلم والتحكم . وبعض الامراض ولا ريب يعنو للعلاج النفسي ، ولكنّ المجلات الطبية المحترمة ، لم تقل لنا بعد أن « العلاج الروحي » أصبح ذا منزلة بين أساليب العلاج المختلفة . وقد يكون العلاج الروحي على يد الاستاذ أبو الخير ، صحيحاً مفيداً ولكن قد يصبح ادعاؤه في أيدي غيره سلاحاً ضارّاً بجمهور كبير من الناس

بقيت مسألة السيكولوجيا الحديثة ونحن نذكر أن العلامة مكدوجال التي خطبة الرآسة الاولى في قسم السيكولوجيا الجديد في مجمع تقدم العلوم البريطاني عندما اجتمع في جامعة تورنتو سنة ١٩٢٤ وقال في مستهلها ان « علم النفس » قد استقل عن الفلسفة . فصار واجباً أن تعرض المذاهب المختلفة فيه . وأنْ تقوم فيه نظريات وآراء لا تثبت على البحث في السنوات التالية لا يضيره ولا يضير الذين يصفون هذه المذاهب . ففي العلوم الطبيعية شيء من هذا كثير

والاستشهاد بالاستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربي على نزعة المقتطف في هذه المسائل حسن ، فللاستاذ رأية . ولكن الاستشهاد به لاستخراج من كلامه دليلاً على نية المرحوم الدكتور صروف خطأ . فالدكتور صروف كان يحكّم عقلهُ فيما يراه ويشاهده بنفسه ويطالعه من هذه المسائل . وعقلهُ لم يقتنع على الغالب بصحتها . فكان يقول ذلك . وكان هذا واجباً عليه ولكنه كان شخصيًّا يتوق الى قيام الدليل المقنع على صحة بقاء الأرواح . ولعل الاستاذ الشيخ عبد القادر ، لم يكن يعلم هذا ، واذا كان فعلاً قد قصد في ما قالهُ ورواهُ الاستاذ أبو الخير ، ان الحكم على نية الدكتور صروف فلعله يهمهُ ان يرفهُ الآن

ولا نحال القرّاء الا موافقين على أن تلميح الاستاذ أبو الخير وتعريضهُ في غير مكان من ردّه غير جديرين به كعالم ولا بالالتفات اليهما في بحث يتناول أهمّ مسائل الحياة والعقل وأعقدها

مكتبة المقتطف

عبقرية محمد

للاستاذ عباس محمود العقاد — المكتبة التجارية الكبرى — ٢٩٦ ص. القطع الصغير — ١٩٤٣

إن نشأة الدين الحنيف ووثبة الملة الاسلامية مما شغل الاقلام ويشغلها أبداً، وذلك لعظمة ذلك الحادث التاريخي الى جنب غرابته، والغرابة في سرعة استواء الدين ومدى وثبة الملة. وقد انصرف المؤرخون والفلاسفة والادباء الى التبصر في هذا المطلب قديماً وحديثاً، سواء في أوربة أو في الشرق العربي. وهذي ثماني سنوات تخرج فيها التواليف المختلفة في مصر باحثة عن «حياة محمد» و«سيرته» وغير ذلك.

وميزة كتاب الاستاذ عباس محمود العقاد أنه ولج الموضوع من باب مستجد، وهو باب تعصية النبي العربي. فلم يسرد وقائع التاريخ ولم يجمل حوادث السيرة ولم يتعرض لاوضاع الدين بشرح او تأويل او تقرير، ولم يجادل عن الرسالة ولا عن احكام القرآن ولم يستخرج المخبآت ويستقصي الاطراف [1] ولم يفعل — على ما يؤكد في المقدمة — ان يتبرى للخصوم فيكسر الحجج ويفند الاقاويل وان جداك الحديث الى مثل هذا في تضاعيف الكتاب [2]. ولكنه أراد ما كتب ان ينفذ الى روح النبي فيستشف لطائفها على اختلاف ألوانها. وفي هذه الروح مستقر الانسانية ومنها مبتنى العبقرية. ولذلك تجد الرسول على قدم العقاد عظيماً في جانب الدين وجانب العلم وجانب الشعور، ولولا عظمته ما كان ليخرج قومه من دنيا الى دنيا وما كان ليشر فيهم ذلك النشاط الذي يوأهم في الايام اللاحقة مكانة محمودة

وقد نهج الاستاذ العقاد بحذقه المعهود أن يجعلنا نحس تلك العبقرية الفعالة في نواحيها المتعددة. وطريقته في هذا ان يستعرض الحقائق التاريخية والنصوص من خلقها مدللة بقوة، وان يرسل عليها اصواء التبيان المنطقي من غير اعتساف [3] وان يضيف اليها بعض خلاصات

---

(١) غير انه يرد قبل نشره ما عن ذلك الحديث الذي في ص ١٧٨ (٢) مثلا ص ١٥١، ١٩٢

(٣) انظر في بدايته حقائق التاريخ وحوادث الكون — من بشائر النبوة التي في البقرة ص ٢٩ — ٣١

التجارب الانسانية ، فتتساوق المسائل وتتجاور الأغراض . وكان في الحسبان ، بعد هذا ، ان يسوق المؤلف سيرة الرسول بحيث تشع من بيناتها انوار العبقرية ، كما صنع بعض الكتّاب الافرنج يوم عرضوا لعيسى (مثلاً E. Ludwig) ؛ ولكن الاستاذ العقاد عدل عن التركيب الى التحليل ، فبرز شخصية النبي ، فتناوله داعياً فصيحاً وسياسياً واثقاً من نفسه مؤمناً غيوراً على رسالته ، وجندياً لا يفزع الى القتال الا اضطراراً فاذا جاهد أحكم فن القتال بالالمام والبصيرة وأبلى بلاء الابطال المعاوير ، وسياسياً يعزم على الامر الفاصل بأناة وأمنية ومداورة لطيفة ، ومديراً يدفع الفوضى والاختلال بتدبير عادل قائم على السلم والارضاء ، وبليغاً أخاذاً للقلوب ملاكاً للالباب بفضل الفصاحة التي في لسانه وادائه ، وصديقاً أحب وأخلص ورحم وسمح ، ورئيساً تسامى عن الظلم والاستبداد ، وزوجاً رفيقاً ليناً عرف قدر العفاف والوفاء والمودة والاستئناس في هناءة الحياة الزوجية ، وأباً حزن على ذهاب ابنه الطفل بقدر ما فرح بمولده فتأججت النار في صدره وهو لا يصرخ لأن « الصراخ من الشيطان » ، وسيداً رحيماً عاملاً متواضعاً منزلاً نفسه منزلة العبد ، وعابداً انصرف الى التفكير في خلق الله دون ذاته لأن التفكير في ذات الله مرهون بالايمان وايمان محمد قوته وسلاحه صلاته ، ورجلاً طيب الخلق رحب النفس يتفكه ويمزح ويأنس بالضعيف والمكروب

على هذا النحو عرض الاستاذ العقاد مناقب النبي العربي فحسن حديثه سوقاً وتبييناً وتفصيلاً ، وان قال هو في خاتمة المقدمة : وحسبنا من كتابنا هذا ان يكون بياناً نومىء الى تلك العظمة في آفاقها ، فان البنان لأقدر على الاشارة من الباع على الاحاطة ، وأفضل من عجز المحيط طاقة المشير . فإنها لبنان غير رجافة

ب . ف

فيض الخاطر

للاستاذ أحمد أمين . الجزء ٣ ، ٣١٢ ص ، القطع الكبير . لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٤٢

للاستاذ أحمد أمين يد مشكورة في تنشئة هذا الجيل . فقد وقف لذلك المعهد همة موفورة تجلت في ناحيتين : التعليم والتأليف . وفي كلتا الناحيتين تعيّب حميد كلية الآداب صادقاً في الاداء أو النقل ، بصيراً بالتوقيف او التوجيه . وما هو بالكاتب المرغوب في اغراق . ولكن في نفسه قلم انه عليه أن يفيد وان يلبه ، وها هو ذا لا يقعد عن الافادة والتنبيه . ومما جمع اليه الآن نشر المقالات في المجلة التي يشرف على اخراجها وهي « الثقافة » . وقد جمع هذه المقالات في « فيض الخاطر » ، وهذا الجزء الثالث يخرج وفي نياته أحاديث عليها طلاوة وهما نفع . وانها تجري في جملتها الى غايتين هما الأدب والاجتماع . ترفيه الأديب الى

للفوائد تارة واستثارة للدفائن اخرى وابتكار ثالثة . فمن الابتكار مقال في « نداء الساعة » ترى المؤلف يشق لك فيه أفقاً لطيفاً ما كنت لتفطن اليه ومداره ما في نداء الساعة المتحولة وغير المتحولة من استعارات وكنايات وتشبيهات ثم من نغمات ومدات . وألطف من هذا ان يعلل لك المؤلف سبب كل ذلك ، كما يعلل ايضاً مواضع القبح في ذلك النداء وفي عرض السلع — ومن استثارة الدفائن ما كتبهُ في شأن « أول مجلة مصرية » وهو يعارضها بمجلات اليوم فيقيس الطريق الذي قطعناه ثم يستخلص منها الحالة الأدبية التي سادت في ذلك الزمن . ومن ذلك ايضاً ما سردهُ من قصة « الشيخ الدسوقي والمستر لين » مما تستوضح بها أخلاقاً وعادات خاصة بمصر للتسعين سنة خلت — ومن بذل الفوائد ما تراه في « التقليم والتطعيم » ، وهو أنهُ لا بدَّ من مراجعة الأدب العربي القديم وتناوله بالتشذيب والتهذيب مجاراة لهذا العهد من حيث المعنى والمبنى جميعاً ، مع تعويض الذاهب بادخال فنون جديدة على أدبنا مثل تحليل الشخصيات العظيمة ونسج الشعر الرفيع وسياقة القصص الشائقة للنبال . ومن الفوائد أيضاً ما بذله المؤلف في « الرمز في الادب الصوفي » وهو حديث مبسَّط جلي

وأما جانب الاجتماع فبين العام والخاص . والعام نحو مقال في « الديمقراطية والارستقراطية » وأما الخاص ، أي الخاص بمصر ، فما قاله المؤلف في « الاغاني المصرية » مبتدئاً بما انتهت اليه من الرخاوة والميع والتفكك ، وما قاله في « أوقات الفراغ » عائباً على المصريين اضاعتهم للوقت وانصرافهم عن الجد الى اللهو وتهاونهم بالغذاء العقلي والروحي الى غير ذلك مما يحط بنا عن درجة الذين يجدّون فيفلحون

ذلك بعض ما في هذا الكتاب المتنوع المفيد . ويزيد في قدره أسلوبه السهل المتباعد عن التعمل والتشدق ، وهو حقيق بأن يطالع [illegible]

ب . ف

خارطة في سماء مصر

هو أطلس فلكي صغير باللغة الانكليزية مفيد جداً للذين يودون أن يعرفوا مواطن النجوم والكوكبات Constellations التي تظهر في سماء مصر وفي جميع البلدان التي تقع في خط العرض الذي تقع فيه مصر ، على مدار السنة ، وأسماءها . فهو يشتمل على ست خارطات باللون الأزرق ومواقع الأجرام وأسمائها بالحروف البيض . وكل خارطة تشتمل على شهر ونصفي الشهرين السابق واللاحق . فبنظرة الى هذه الخارطة في الشهر الذي أنت فيه ومقارنتها بمواقع النجوم في قبة السماء الصافية تهتدي بكل سهولة الى النجوم المبينة في الخارطة

أطلس جميل لا يهمُّ طلاب علم الفلك فقط ، بل يلذ أيضاً لكل واحد من الناس يتوق أن

يعرف شيئاً عن السماوات التي تحدث بمجد الله وتخبر بعمل يديه. وقد ألحقت بهذه الخارطات شروح علمية فلكية عن حركات الاجرام. وقد طبعتهُ مصلحة المساحة المصرية. ووضعهُ الدكتور هرست مدير قسم الطبيعيات والدكتور محمد رضا مدور ومعاونهُ الاستاذ مناحة افندي في مرصد حلوان. وهو يباع به ةفروش في مكتبة شندار في شارع المدابغ في القاهرة وفي جميع المكاتب في مصر. وايراده يتحول الى خزينة المال المخصص للترفيه عن الجنود

زميل التوجيهي

وضع هذا الكتاب الاستاذ محمد عاطف افندي البرقوقي خرّيج جامعة برمنغهام ومفتش العلوم بوزارة المعارف. وشاركه في وضعهِ الاستاذ احمد افندي ابرهيم المدرّس الاول للعلوم بالمدرسة الابراهيمية. وقد توخيا فيهِ اعانة الطالب في اتقان الاجابة في الامتحانات. وهو يمتاز على اشباهه من كتب الامتحانات بما احتواه من الارشادات العامة في كثير من الاوليات والقوانين العلمية التي قد يفوت الطالب فهمها في اثناء دراسته، لانها مشتتة في ثنايا الكتب التي يدرسها حتى اذا احتاج اليها فلا يجدري كيف يهتدي اليها. ولكنهُ يجدها في هذا الكتاب بسهولة في كل فرع من الفروع مسبوقة بتعريفات مصطلحاته. وهناك نماذج للاجابات تبين للطالب الطريقة في كيفية الاجابة. وقد انتقى المؤلفان أسئلة متعددة وأجوبة تعدُّ دراسات نفيسة في أهم مسائل العلوم الثلاثة التي اختصَّ بها هذا الكتاب وهي الطبيعة والكيمياء والميكانيكا. ولا ريب في ان هذا الكتاب يؤدي الى الطالب يداً بتلقينه المعرفة الصحيحة الواضحة ويسهل له دراستها والاجابة عن اسئلتها. فهو اذاً خدمة وطنية جزيلة النفع للناشئة. فنثني على عمل المؤلفين المفيد. ونوجه نظر الطالب اليهِ لكي ينعم الاستفادة

متاع الاسماع

المقريزي — ج ١. صححه ونشره محمود محمد شاكر — ٦٨٦ ص، القطع الكبير — لجنة التأليف والترجمة والنشر — مصر ١٩٤٢

هو امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والاموال والحفدة والمتاع للمقريزي تقي الدين احمد بن علي. وقد وقف على طبعه وضبط الفاظه، وأوضح مشكلاته وقسم موضوعاته الاستاذ المتمكن محمود محمد شاكر في كثير من الدقة والتبيين. ثم عمل لهُ فهارس متعددة على نحو ما يجري الآن في اخراج الآثار العربية في مصر وغيرها: للاعلام، والاماكن، والايام، والغزوات ثم للكتاب. غير ان في صدر هذا الفهرس الاخير، أنَّ لمصحح الكتاب مقدمة وان للدكتور طه حسين كلمة، فلم نعثر عليهما

وقصة خروج هذا الكتاب ان السيدة الكثيرة البرّ فوت القلوب هانم الدمرداشية تبرعت للجنة التأليف والترجمة والنشر بمبلغ كبير من المال في سبيل نشر كتاب تاريخي، فوقع اختيار اللجنة على هذا الكتاب. وهو اختيار حسن لما يضمه الكتاب من الفوائد وما يبذله من المعارف فهو جامع لأحوال النبي العربي جمعاً كافياً، ولاغنى عنه لمن يريد تعقب سيرة الرسول واستبطان كنه رسالته. وفيه من نفحات التاريخ ما يسرّ المستطلع المتوغل وفيه من التحقيقات مايطمئن اليه الباحث المستوثق

قصص علماء الطبيعة

تأليف الاستاذ محمد عاطف البرقوقي — مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف

٥٠ صفحة قطع وسط — مصورة — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ما انفك الاستاذ محمد عاطف البرقوقي يسدي الى تدريس العلوم الطبيعية بالعربية يداً في اثر يد. فمن «تبسيط اللاسلكي» الى «قصص العلماء والمخترعين» الى كتيّب «المهندس الصغير» الى هذا الكتيّب الجديد في قصص علماء الطبيعة الذين توفروا على دراسة خواص المادة

ولفظ «الكتيّب» لا يُشير إلاّ الى حجم الكتاب، وأمّا فائدتهُ فلا تقاس بعدد صفحاته. هنا تبسيط لسير سبعة من أعلام علماء الطبيعة: أرخميدس ونيوتن وروبرت هوك وباسكال وتوريشلي وأوتوفون جريكا وروبرت بويل، يطالعها المبتدىء في دراسة علوم الطبيعة فتحبب اليه حقائق هذه العلوم وسير رجالها فيقبل عليها بجدوه الشغف ويطلب الاستزادة فلا يشعر عندما تتعين عليه دراسة المطولات بأن الدراسة مفروضة عليه فرضاً وحسب

وهذا اسلوب في التربية العلمية يجب ان يفوز بما هو جدير به من تشجيع رجال التعليم في الاقطار العربية

قال المؤلف: وقد عنيت في هذه القصص بنشأة العلماء وتحصيل حذقهم وأشرت الى تاريخ بلادهم في عصورهم وبيّنت الظروف التي أدت الى كشوفهم وبسطت في ثنايا القصص الحقائق والمخترعات التي كانت سبباً في تخليدهم فأصبحت القصص بذلك تجمع بين لذة القصة وفائدة العلم، وتضم طرافة الحوادث مع توضيح الحقائق، والعلم المؤسس على التشويق والرغبة انبت من العلم المبني على الاستظهار والرهبة»

وسيلي هذا الكتاب كتب اخرى تضمُّ قصص علماء نبغوا في دراسة نواحٍ أخرى من العلوم الطبيعية

الرجال منافقون وقصص اخرى

بقلم الاستاذ محمود كامل المحامي ، نشرتها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
في ١٦٠ صفحة من القطع الوسط .

الاستاذ محمود كامل من أقدر كتابنا القصصيين على تصوير المجتمع المصري الجديد ، المجتمع الذي اختلفت فيه المدنية الحديثة ببقايا آثارنا التقليدية ، ومن أبرع المصوّرين لآثار الانقلاب الخلقي الذي ينشأ عن هذا الخلط العجيب والنتائج التي تترتب عليه . وقد حفلت مجموعات قصصه العديدة التي اصدرها بصور من هذا القبيل

ولقد أراد في مجموعته الجديدة التي اخرجها بعنوان « الرجال منافقون » أن يعالج «لوناً من الألوان الاجتماعية التي تتميز بها الحياة المصرية . . . هو الذي يبدو في التفاوت الكبير بين الشاب المصري الذي تلقى تعليمه في مصر أو في أوربا وكثر تردده على نوادي الرياضة «وصالونات الشاي» و «علب الليل» وبين الفتاة المصرية الجديدة التي بدأت تتلقى نفس برامج الدراسة التي يتلقاها زميلها كما بدأت تنال ألقاب الجامعة العلمية وتشق لنفسها طريقاً في معركة الحياة »

أظهر المؤلف في قصصه الست التي ضمتها هذه المجموعة ووحدت بينها الفكرة ، هذا التفاوت فلقد خلقت الحياة العصرية الشاب المصري بنوع من النفاق صقلته سهرات الليل مع فتيات الهوى وأحاديث المقاهي في حين ظلت روح الفتاة المصرية رغم المظهر المصري الخارجي شرقية التفكير والميول والاتجاهات النفسية فكانت ضحية هذا التعليم وجرّ عليها عبث الرجل ونفاقه وما تدفع اليه مظاهر الحياة العصرية التي تتلقاها دون تريث ودون تنقيح ما جرّت من الويلات والشرور

فنحن نرى في كل قصة من هذه المجموعة كيف زلّت المرأة وكيف انحدرت او كيف حاولت انقاذ نفسها من بين براثن العبث الذي انطبعت عليه روح الرجل متأثرة بما صبغتها به ألوان جديدة أفقدت روحه لونها الشرقي وشهامتها الشرقية

وقد قصد المؤلف من وراء ذلك ان ينبه نظر المصلح الاجتماعي الى هذا الخطر الداهم وليبين ان من الواجب التفكير في وضع قيود اجتماعية وتشريعية للحدّ من حرية (الرجل) الطاغية حتى يمكن النهوض بمستوى الخلق الاجتماعي من هذه الهوة التي يتردّى فيها . وانه لمجهود من المؤلف نبيل القصد طيب الغاية يضاف الى جانب مجهوده الأدبي في عالم القصة وهو مجهود غير مجحود

العبرقي

أغاريد ربيع

ديوان فؤاد بليبل

ظهر حديثاً ديوان شعر بهذا العنوان للشاعر الشاب المرحوم فؤاد بليبل الذي خالته المنون غير متجاوز الثلاثين ربيعاً

في الشعر ينظر الى أمرين : أحدهما مادي وهو الصناعة او الصياغة . والثاني معنوي وهو الأفكار والآراء والخواطر التي يتغنى بها الشاعر . فمن حيث الصياغة نرى في «أغاريد ربيع» قصائد رفاقة بلغ بعضها طبقة عالية من حيث اشراق الديباجة وجودة السبك والتعبير وقد شهد بذلك شاعر القطرين الاستاذ خليل مطران فقال : « . . . يصوغ ذلك الشعر بقدر ما تتمكن فيه الملكة صوغ الماهر الذي كان في طريق العبقرية لو فسح له في الأجل . . . . وكان فؤاد بليبل من المجددين ولكنه لم يعمد الى التجديد الا من طريق وصفه للحوادث التي شهدها والأناس الذين اتصل بهم ومن طريق تعبيره عن شعوره الصادق كما تلقاه عن تلك المصادر »

أما من الناحية المعنوية فالديوان ينطق بما كان يجول في خاطر الشاعر من الاحساسات الكريمة وتنطوي عليه نفسه من حب الخير والانسانية وطلب صلاح البشر والوفاء للاصحاب والرثاء للمظلومين والاشفاق على البائسين . كما ان شعره الوجداني ينم عليه صدق الشعور وعذوبة الروح وسمو العاطفة — ويؤيد هذا السمو في شعوره اقوال من رثوه من الشعراء والادباء مما يجده القارىء في الديوان المذكور — ومما يجدر ذكره في هذا الباب ندرة قصائد المدح في الديوان وهو يدل على بعد الشاعر عن التملق وترفعه عن الامور المادية التي تستعبد سواه . وهذه ابيات ننقلها عن الديوان لدعم ما قلناه ولتشويق القارىء الى مطالعته

قال في الترفع :

وإذا طلبتَ ولم تجد لك مطلباً ... فاطلب رضاء كما يريد الانعم
فاهو الضياع على الصديق وذلة ... مرّاً على النفس غير سروغ
الورد خير من ورودك موردا ... ولغ الكلاب بمائه المتجمع
من كان للارض الحزينة مشرباً ... هيهات يغشى كوثر المتقنع

وقال في معنى آخر :

ومن الشر ما يجنّ على الخير ... ويندي ظما الضلال سقاه
ومن السم ما يعين ومنه ... ما تداوى به الخطوب العياة

وقال في المداحين :

وحسبُ الكريم على مقدار حاجته ... يزداد حبا اذا ازدادت تجاربه
ذل رأيت نزيهاً في مودته ... فقل هو الدهر قد جلت عجائبه

وقال في زجاجة الخمر :

لها على الكأس في الاقداح بهجة ... كأنها صحبات غازيء غدر
أتشتهي البؤس دنّا وهو بارد ؟ ... فيا لقرورة أورى من الشرر !

وقال في البخل :

ولا تحسبن البخل ان له من تحته كل يوم ، يحسبونه
هو الفقر والنفس ما ترتقي به قدم وهو القليل وان عزت مكسبه

فريد حبيش

ترجمات من العربية الى الحبشية

بقلم مراد كامل — مقتطف مستخرج من مجلة الآثار القبطية — القاهرة ١٩٤١

قد سبق لنا ان نعرف الى القراء الدكتور مراد كامل مدرس اللغات السامية بكلية الآداب والمتخرج من جامعات المانيا . وذلك لما تناولنا تآليفه المختلفة في خصائص بعض اللغات السامية وبعض التراجم التي نقلت اليها او منها . وهذا المقال الاخير يستعرض الترجمات التي نقلت من العربية الى الحبشية ، وأكثرها في الناحية الدينية . فالتوراة نقلت في القرن الرابع العاشر ونقلت ذلك أساطير وأخبار ورسائل وخوارق . ثم وقفت حركة الترجمة باضمحلال الدولة الحبشية ، ونهضت لغة دارجة هي لغة الأمهرية . وبقيت الحال هكذا حتى سنة ١٩١٤ إذ كلفت الحكومة الحبشية اربعة مصريين ان ينقلوا كتباً تعليمية من العربية الى الأمهرية . ولم يطل ذلك ، لان الاحباش أخذوا في العهد الجديد يترجمون عن اللغات الاوربية مباشرة . ذلك مقال وجيز ونفيس ، رأينا ان نشير اليه لطرافة موضوعه . ولابدَّ ايضاً من التنويه باهتمام «مجلة الآثار القبطية» بشؤون الحبشة على ذلك النحو العلمي ، فهي بهذا تنفرد بمسعى يجمل بمصر

السينما مفخرة القرن العشرين

أصبحت السينما وسيلة من وسائل الثقافة تنشرها بين الناس في روايات تاريخية رائعة أو حوادث مؤثرة كما أصبحت وسيلة بين اقطار العالم تنقل حوادثه مصورة وأصبح لـ«كواكبها» بين الناس تقدير واعجاب . وعلى قدر ما تحتل هذه الصناعة من المكانة بين مخترعات القرن العشرين وعلى قدر ما تجذب اليها من معجبين فقليل ما وضع في العربية عنها . لذلك كان عملاً مشكوراً اقدام الأديب محمد عبد القادر المازني على وضع كتاب عن السينما وصف فيه تاريخها وتقدمها كما كتب عن كثيرين من «كواكبها» المشهورين والمشهورات وقد قدمه ابن والده الأديب الكبير الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني بهذه الكلمة « لقد اردت بهذا الكتاب المتواضع ان أسد بعض الفراغ في المكتبة العربية بشيء من تاريخ السينما وتطورها فأملي ان ترضى عن بعض ما فيه فما يسعني وأنا في مستهل حياتي إلا ان أفوز برضائك التام وان هذا محور آمالي »

باب الأخبار العلمية

مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية
خلاصة محاضراته

عقد المجمع المصري للثقافة العلمية مؤتمره السنوي الثالث عشر في الأسبوع الثاني من شهر مايو ١٩٤٢ ، وكان رئيسه الدكتور علي مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم

وقد القيت فيه ست محاضرات في موضوعات علمية شتى ، نظرية وعملية . فبيّن الدكتور مشرفة القواعد التي يقوم عليها تنظيم البحث العلمي في بلدان الغرب سواء في ذلك البحث العلمي البحت أو البحث التطبيقي وعرض مقترحاته العملية لتطبيق هذا التنظيم في مصر . وكانت محاضرة الدكتور سليم حسن في موضوع بحث الى تاريخ مصر القديمة بصلة وثيقة اذ بيّن ، استناداً الى وثيقة جديدة لم تنشر قبلاً ، أسماء البلدان القديمة الباقية الى الآن في مصر وما في اسمائها من أثر للتسمية التي كانت شائعة في العصر القديم

والقى الدكتور محمد عزيز فكري محاضرة موضوعها « طبيعة الانمار في القطن » وهو بحث علمي عملي يتصل بثروة مصر الاقتصادية فبين طبيعة تساقط أزهار القطن وأثماره ، وقال أنه اذا كان في الوسع الاحتفاظ بزهرة واحدة عقده من ما يتساقط به سنة كان معنى ذلك زيادة قنطار من القطن في غلة كل فدان من الارض المزروعة ، وبنى آراءه هذه على أبحاث مبتكرة اجراها بنفسه

ولخص الدكتور مصطفى عامر وصف حالة مصر من الناحية السياسية والاجتماعية في أواخر القرن الثامن عشر ، استناداً الى ما ذكره الرحالة الفرنسي « فولنى » من حقائق طريفة

ووقف استاذان من اساتذة كلية العلوم محاضرتيهما على موضوعين من موضوعات التاريخ الطبيعي . فكان موضوع الاستاذ يونس سالم ثابت « التكافل في النبات واثره في الزراعة » وقد بين الفرق بين التكافل والتطفل ، فالتطفل فيه كل الغرم على احد الشريكين وكل الغنم على الشريك الآخر . وأما التكافل ففيه منفعة متبادلة للشريكين وضرب على ذلك امثلة كثيرة ووضحها بالصور . وكانت المحاضرة الأخيرة من محاضرات المؤتمر للدكتور محمد والي استاذ الحيوان بكلية العلوم وقد عالج فيها « العوامل الفعالة في سلوك السمك » وكيف يتفاوت وفقاً لأحوال البيئة والتشريح وكيف يبدو في اشكال السمك وطبائعه ووضحه بصور بديعة

السلفاتيازول والتهاب البريطون

نشرت مجلة « سينس » نقلاً عن مجلة الجمعية الطبية الاميركية نبأ طريقة جديدة اسفر فيها استعمال السلفاتيازول — احد مشتقات السلفانيلاميد — عن انقاذ مرضى مصابين بالتهاب البريطون Peritonitis لإصابة خطرة . والطريقة هي حقن العقار في تجويف البطن . وهذا مخالف لما جرى عليه الاطباء وهو استعمال هذا العقار في البطن عند شقه لاجراء عملية جراحية. اما الاطباء الاميركيون الذين وصفت المجلتان طريقتهم فيحقنون العقار في البطن بغير شقه

***

والى القارىء وصفاً موجزاً لإحدى هذه الحالات التي استعمل فيها العقار على الوجه سابق الذكر . كان المصاب صبيًّا زنجيًّا عمره سنتان ونصف سنة . وكان مصاباً بالتهاب حاد في الزائدة الدودية وبالتهاب البريطون العام. فبعد فحصه قرَّر الأطباء ان حالته لا تسمح باجراء عملية لاستئصال الزائدة الملتهبة . وفي اليوم العاشر من اصابته ثقب البطن بإبرة طويلة تشبه ابرة الحقن تحت الجلد واستخرج من المعدة نحو نصف كوب من الصديد ثم حقن في البطن عقار السلفاتيازول . وبعد انقضاء يومين حقن السلفاتيازول في البطن مرة ثانية . وفي الوقت نفسه حقن المصاب بالسلفاتيازول في اوردته. وعولج علاجاً آخر

وبعد انقضاء يومين على حقنة السلفاتيازول الثانية في البطن هبطت حرارة الصبي الى المعدل السوي . وتحسنت حالته العامة . ولم تنقض ثلاثة أسابيع أخرى حتى شفي وعاد الى داره . وبعد انقضاء شهرين على ذلك التهبت زائدته الدودية ثانية ، فاستؤصلت . والرأي ان حقن السلفاتيازول في البطن لا تقتصر فائدته على التهاب البريطون الناشىء عن التهاب الزائدة الدودية بل يشمل كذلك التهابه الناشىء عن جراثيم النومونيا والجونوريا

البيض المجفف

ينتظر أن يبلغ وزن البيض المجفف المرسل هذه السنة من الولايات المتحدة الى بريطانيا بحكم قانون الاعارة والتأجير ، مائة مليون رطل ، قبل اول يوليو ١٩٤٢ . فاذا تذكرنا ان الولايات المتحدة الاميركية كانت تصنع من البيض المجفف ما لا يزيد على مليوني رطل في السنة ، وانه من المنتظر ان يبلغ ما تصنعه منه في خلال سنة ١٩٤٢ مائة وخمسين مليوناً من الارطال أدركنا مدى التقدم في هذه الصناعة. والتجفيف غرضه توفير المكان في السفن

تعريف بالفيكنت فيليب دي طرازي

كتب الينا بعض القراء يستفسر عن اصل الفيكنت فيليب دي طرازي وعن سعيه القومي ، بعد الذي كتبهُ الدكتور بشر فارس في عدد مايو تحت عنوان « التلبيه الى كتاب فريد جامع » فنقول :

هم بنو طرازي من أسرة عريقة في الوجاهة جَلَبوا عن « آثور » وطنهم الاول في منتصف المائة السادسة عشرة ، وقصدوا الى حلب فاستوطنوها . وفي صدر المائة التاسعة عشرة قدم الطون طرازي (جدّ الفيكنت فيليب) مدينة بيروت وانشأ فيها داراً للتجارة . وانتشر اعقابهُ في البلدان العربية وفرنسة وشمالي امريكة وجنوبها ، وحرفهم مختلفة . اما الفيكنت فولد في بيروت في ٢٨ مايو ١٨٦٥ ، وبعد التحصيل في المدرسة البطريركية وكلية الآباء اليسوعيين اشتغل بالتجارة مع أبيهِ نحو اثنتي عشرة سنة . ثم انصرف الى الدرس والجمع والتأليف

وقد قال فيهِ المستشرق الالماني الكبير مرتن هَرْتْمَنّ في الكتاب الذي ألفهُ في رحلتهِ الى سورية ولبنان سنة ١٩١٣ ما مؤداه : «وهو ذكيّ في اللطف، أديب، نابغة، واسع المعرفة بكل من تطرقنا الى ذكره وبكل ما أفضنا فيهِ . وشاهدت في خزائنه ذخائر علمية جمعها بسعيه المتصل وهي تدل على همة اللبناني اذا شاء أمراً وعلى فطنة الفيكنت ومقامه العلمي وان وصلت تلك النفائس أوربا لكان لها شأنها هنالك . . . » . أما الدكتور بشر فلم يشاهد تلك النخائر في دار الفيكنت ببيروت وذلك ان كتبه انتقلت الى دار الكتب التي أنشأها وان الالطاف والآثار من أسلحة ونقود ومن قطع خزف وزجاج وعاج ومن ظنافس نادرة ومن مخطوطات نفيسة ، مثل « قاموس » الفيروزابادي المزوق بالالوان قد نقلها الى دير في لبنان او وهبها . وللفيكنت ألقاب علمية كثيرة وأوسمة ، من ذلك انهُ من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والجمعية الجغرافية بباريس ، والمجمع العلمي للفنون والآداب بباريس ، والجمعية العلمية الاسلامية ببرلين . وهو يحمل من الأوسمة العثماني والفارسي والتونسي واللبناني والبابوي والفرنسي . وأما سعيه القومي في مقال عدد مايو تنويهٌ بأياديه في أثناء الحرب الكبرى ، ونضيف الى ذلك انهُ عَلَّ مُمِدّاً غير قصيرة وكنّ لجمعيات خيرية شتى في بيروت مثل (المساعي الخيرية السريانية) . ومما عمله فوق هذا أنه انضمّ الى اللجنة التي سعت في اغاثة المنكوبين في حوادث جبل عامل سنة ١٩٢٠ ، وانه تجرد لمساعدة السريان الذين طردتهم الدولة التركية سنة ١٩٢١ فلجأوا الى بيروت . ومن عَلَّ شأنه انه ظفر بالثقة حتى عين مفتشاً عامّاً في (دوائر الاعاشة)

بيروت سنة ١٩١٨ لتوزيع الاقوات والملابس والادوية على البائسين، وحتى مثل جمهور الاقليات من سكان لبنان في مجلس المستشارين الذي أنشىء سنة ١٩٢٠ في عهد الجنرال غورو . تلك كلمة مجملة في ترجمة ذلك الشيخ الوافر علمه ، الزاخر فضله . ونعلم ان الدكتور بشر تفصلاً في سيرة هذا العالم وغيره من العلماء المعاصرين سيخرجها على حدة

الطيران حول الارض

وجّه الى الطيار الروسي ميخائيل جروموف وهو الذي طار قبل سنوات من موسكو الى ولاية كاليفورنيا مارًّا فوق القطب الشمالي بغير توقف ، السؤال التالي : هل في الوسع صنع طائرة تطير حول الأرض بغير ان تقف للتموّن بالوقود . واذا كان ذلك ممكناً فما المدّة التي يستغرقها هذا الطيران ، وما اوصاف الطائرة التي تستطيع ذلك

فاجاب : في الوسع صنع طائرة تستطيع ان تقطع من اثني عشر الف ميل الى خمسة عشر الف ميل . وهذا يمكنها من الطيران حول الأرض على محاذاة احد خطوط العرض العليا لا على محاذاة خط الاستواء . ورحلة من هذا القبيل تستغرق من ثمانين ساعة الى تسعين ساعة . ولا بدَّ ان تكون الطائرة مما يستطيع الطيران في الطبقة الطخرورية السفلى حيث تكون أقل تعرضاً لفعل الرياح منها على ارتفاع يسير فوق سطح الارض . والغالب ان سرعتها وهي طائرة في هذه الطبقة تكون ٢٥٠ ميلاً في الساعة في المعدل

علاج كيميائي لحفظ القمح المخزون

صنع في قسم الكيمياء بجامعة هنتير الجديدة في الولايات المتحدة ، علاج كيميائي يقي القمح المخزون فعل الحشرات . وقوام هذا العلاج مادة كيميائية تدعى «الميد» وهو الاسم التجاري لمركب نتروجيني المعالج بالكلورين . هذه مادة سائل خاف ذو رائحة ولكنها ليست كريهة . وهو يتبخر فتنفذ ابخرته بالحشرات التي في القمح والدقيق والمنسوجات والقراء بغير ان تؤذي الناس . والابخرة تخترق القطن الكبوس والمنسوجات المرصوفة بعضها فوق بعض والورق المشمع والورق العادي .

وقد جربت هذه المادة تجارب واسعة النطاق بالقمح المخزون فأسفرت عن نتائج تبعث على الرضا . فقد ذُرّت مثلاً على سطح مخزن مملوء قمحاً وعلو القمح المكدس فيه ستون قدماً فاخترقت ابخرتها القمح المكدس الى أسفل المخزن وفتكت بالحشرات اينما كانت ولم تضر التجارب حتى الآن عما يدل على تأثر مواد الطعام بهذه الأبخرة تأثراً يؤذي آكليها

زيادة محصول القطن
بمعالجة تقاويه (بزوره)

تدل المباحث الزراعية في الولايات المتحدة ، على انهُ في وسع الزرّاع زيادة محاصيلهم بمعالجة البزور قبل بذرها برشها بأنواع (هرمونات) نباتية . وقد اجرى الاستاذ ايرلند بكلية اوكلاهوما تجارب واسعة النطاق اثبتت ان خير المواد لمعالجة البزور هي مادة تعرف باسم « الحامض الليفولينيك » Levulinic وهو حامض يسهل تركيبه من النفايات بنفقة يسيرة . وأهم ما يستعمل فيهِ الآن هو صنع العجائن الكيميائية plastics

وقد اسفرت تجربة هذا الحامض في القطن عن نتائج تبعث على الاستغراب فالمحصول في النبات الناشيء من بزور عولجت بهِ زاد ٥٠ في المائة على محصول القطن الناشيء من بزور لم تعالج به . وكانت التجربة خاضعة لاسباب الدقة العلمية . ثم ثبت انهُ اذا ذر دقيق الصويا مخلوطاً بواحد في المائة من الحامض الليفولينيك في خلال فترة الازهار ساعد ذلك على منع سقوط اللوز

وقد عولجت زراعة القطن في فدان (ايكر) هذه المعالجة ، فكان محصولها ٨٣٨ رطلاً بينما تركت الزراعة في اخرى بغير معالجة فلم يزد محصولها على ٤٨٥ رطلاً وقد بذل المجربون غاية الجهد لجعل الزراعتين متساويتين من كل ناحية عدا معالجة البزور بالحامض الليفولينيك والازهار بمزيج منهُ ومن دقيق الصويا . وتبلغ نفقة معالجة القطن في فدان واحد ثلاثة دولارات او نحو سبعين قرشاً

غور مندناو

تعرف احدى جزائر ارخبيل الفيليبين باسم مندناو . والى غربها غور في المحيط هو أعمق الاغوار في محيطات الارض جميعاً على ما يعلم حتى الآن اذ يبلغ عمقهُ ستة اميال ونصف ميل

أللمرأة أم للرجل مهنة التعليم

المرأة في أميركا تحتكر مهنة التعليم في المدارس الابتدائية ، وتكاد تحتكرها في المدرس الثانوية ، ولا تخلو منها الكليات والجامعات . ففي مرحلة التعليم الابتدائي اكثر من ٩٠ ٪ من القائمين بشؤونهِ من النساء وفي مرحلة التعليم الثانوي ٦٠ ٪ من هؤلاء من النساء أما في التعليم الجامعي فنسبة النساء ضئيلة جداً ؛ وقد رضي الرجال بهذا الغبن ، ورضي رجال التربية ضمناً بأن مهنة التعليم نسوية . غير أن الكثيرين منهم أخذوا يشكون من أن الكتّاب هنالك يشيرون الى كلمة « معلم » بضمير الأناث ؛ ويطالب الكثيرون الآن بالانصاف واستعمال ضمير الذكور

[مجلة التربية الحديثة]

فهرس الجزء الاول

من المجلد الواحد بعد المائة

١ اوربا بين عهدين — موازنة تاريخية

٨ تنظيم البحث العلمي وأثره في تطور المجتمع : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك

١٦ فارات ندى : لراجي الراعي

١٧ العلم والادب والاساطير في كتب السلف : للامير مصطفى الشهابي

٢٧ الغاز الحربي صفاته وخواصه واستعماله

٣٤ الهكسوس عاصمة ملكهم ومدة حكمهم : للدكتور باهور لبيب

٣٩ سمك الاغوار غرائب أشكاله وطبائعه

٤١ يوم في خزانة عيسى اسكندر المعلوف : بقلم الدكتور بشر فارس

٤٧ اسماء مصر : لناشد سيفين

٥١ في محراب الفكر (قصيدة) : لحسين محمود البشبيشي

٥٤ الاعلام في كتاب الامتاع : للاب انستاس ماري الكرملي

٦٠ دراسة اللغة العربية الفصحى في مدارسنا المصرية : لعبد الله امين

٦٦ زيلندا الجديدة

٧١ تأثير الغذاء في الطباع : للدكتور عبده رزق

٧٣ حديقة المقتطف * مدرسة تاجور : لمحمود المنجوري

٨٣ باب المراسلة والمناظرة * اللسان العلمي واللسان النباتي : لمحمود مصطفى الدمياطي ، حول كتاب فواهر حجرة تحضير الارواح : لاحمد فهمي ابو الخير

٩٥ مكتبة المقتطف * عبقرية محمد . فيض الخاطر . طرفة في سماء مصر . زميل التوحيدي . اختراع الاسبرج . قصير عليه الطيلسة . الرجال ماتوا وقصص اخرى . أغاريد ربيع . ترجمات من العربية الى الصينية . التسليم مفخرة القرن العشرين

١٠٣ دب الاحمر (تتمة) * مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية . السلحفاة ارون والثعلب ابن يطون . البيض الخلب . تعريب الميكانيك فيلب ذي طرزي . الطبيعيات حول الارض . علاج كيميائي لخمد السرطان . رواية محمود الحفني عن لغة الطير (تتمة) . تحرير مقدمة . الرجل ام المرأة مبدأ التفضيل